الحُبُّ الأصِيل

قصَّة حُبّ مِن الكتاب المقدَّس

أدريان إيبينز

الحُبُّ الأصِيل

قصَّة حُبّ مِن الكتاب المقدَّس

بقلم أدريان إيبنز

Fatheroflove.info
adrian@life-matters.org

الطباعة في:

لتنزيل الكتاب الصوتي مجّانًا
fatheroflove-arabic.com

© Adrian Ebens, 2020

المحتويات:

1. الحبّ الأصيل 4
2. لا يخجلان 8
3. مخلوقون على صورته ـ النموذج الإلهي 11
4. الساحرة وصبيُّها 16
5. نسل الأغابي الموعود 22
6. الإيروس وذرِّيَّتها المستبدَّة 25
7. حزن الله 31
8. رجل البركة 35

1. الحبّ الأصيل

تناول يسوع خلال موعظته على الجبل العديد مِن المجالات الرئيسيَّة التي تشكِّل مصدرًا للمعاناة بالنسبة للإنسان. ومِن النقاط الرئيسية التي ذكرها ما يلي:

> قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ (متَّى 5: 27 – 28).

يبدو أنَّ هذه الكلمات تشكِّل بالنسبة لأيِّ رجل مسيحيّ ضربة ساحقة لِما قد يجول في نفسه مِن مشاعر بالبِرّ والصلاح. إنَّ يسوع، مِن خلال هذه الكلمات، يتناول الجذر المسبِّب لعبوديَّة الإنسان للخطيئة. بالنسبة لأيِّ رجل يسعى لأنْ يكون طاهر القلب، إنَّ هذا التصريح يدفعه إلى الركوع في حزن وإحساس عميق بحاجته إلى المخلِّص الحيّ في قلبه. أنْ نعرف يسوع معناه أنْ نعرف أنَّه لم ينظر أبدًا إلى امرأة لكي يشتهيها. ومِن خلال معرفة هذه الحقيقة يمكن أنْ يكون لدينا، نحن الرجال الذين سقطنا في الخطيئة، الرجاء بأنْ تتغيَّر قلوبنا بحيث يعود إليها الحبّ الأصيل مِن جديد.

عندما نفكِّر في ذلك الحدث الذي تمَّ حين رأى آدم حوَّاءَ للمرَّة الأولى، يتخيَّل معظم الرجال أنَّ آدم لا بدَّ أنَّه قال، "أووووه، يا رجل!". ولكنَّ هذا التخيُّل يضفي على الكتاب المقدَّس ميول القلب المنحرف. إنَّ الكثير مِن الرجال لا يستطيعون مجرَّد النظر في التماثيل التي تصوّر الجنَّة مخافة أنْ تتحكَّم فيهم طبيعتهم الفاسدة. ولكي نفهم تلك المحبَّة التي استقرَّت في قلب آدم حين رأى حوَّاء للمرَّة الأولى، نحتاج ببساطة إلى قراءة الكتاب المقدَّس.

> وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» (التكوين 2: 22 – 23).

لاحِظ جيّداً كلمات آدم حين التقت نظراتهما: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ". لم يكن هذا الحبُّ قائماً على جمالٍ رآه آدم ورغب في امتلاكه. لقد رأى تلك التي استمدَّت حياتها منه. رأى شخصاً كان قد أتى مِن موضع بجوار قلبه، ولذلك كان يرعاها ويقدّرها بوصفها نفسه الثانية. وكما عبَّر عن ذلك بوضوح بولس حين كتب قائلاً:

> كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ. لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ (أفسس 5: 28 – 30).

وهكذا نرى أنَّه تماماً مثلما قال آدم لحوَّاء: "أنتِ عظم من عظامي ولحم مِن لحمي"، هكذا قال أيضاً آدم الثاني للكنيسة، "أنتِ عظم مِن عظامي ولحم مِن لحمي". إنَّه لا يحبُّنا لأنَّ لدينا شيئًا ما نقدِّمه له، ولكنَّه يحبُّنا لأنَّنا ننتمي إليه ونشأنا منه. يا لها مِن محبَّة!

والأكثر مِن هذا، إذا قرأت جيِّدًا القصَّة كما وردت في الأصحاح الثاني مِن سِفر التكوين، سترى أنَّ آدم قد وُضِع في الجنَّة متسلِّطًا على الخليقة كلِّها، وذلك حتَّى قَبل أنْ تُخلق المرأة مِن ضلعه. وعندما خرجَت منه، أعطاها كلَّ ما كان مُلكه لكي تكون شريكة له في الوكالة والقيادة. وهنا نسأل مرَّة أخرى، هل فعل ذلك لأنَّه رأى فيها شيئًا كان يرغب في امتلاكه والتحكُّم فيه؟ هل سعى لشرائها بأمواله؟ لا، لم يكن هذا هو الحبُّ الذي كان في قلب آدم تجاه حوَّاء. إنَّ الحبُّ الذي كان في قلبه هو الحبُّ الذي يأتي مِن الله، لأنَّ الله محبَّة. لكنْ، أيَّة محبَّة هي هذه؟ إنَّ الكلمة اليونانيَّة التي تشير إلى هذه المحبَّة هي أغابي (Agape)، وتعني المحبَّة المضحيَّة لأجل خير الآخرين. إنَّها محبَّة لا تعتمد على أيَّة صفات يمتلكها المتلقِّي. أمَّا الكلمة اليونانيَّة المستخدَمة اليوم للإشارة إلى الحبّ فهي إيروس (Eros)، والتي لم يصادق عليها الكتاب المقدَّس أبداً. إيروس هو حبُّ كلُّ ما هو جميل ونبيل وفاتن. الإيروس هو الرغبة في الاستحواذ على الأشياء التي تأتي باللذة لأعيننا ورغباتنا وأجسادنا والاستمتاع بها. انظر بعض الأمثلة في (القضاة 14: 2، 3)، وفي (2 صموئيل 11: 2).

عندما جاءت حوَّاء إلى آدم بالثمرة المحرَّمة، جاءت إليه ومعها شيء لم يكن الله قد أعطاه لآدم، شيء لم يُفترَض أنْ يعطيها إيَّاه آدم. وبامتلاكها لتلك الثمرة أصبحت حوَّاء الآن تمتلك شيئاً لم يكن آدم يمتلكه. لقد رجعت مِن الشجرة وذهنها قد امتلأ بأسلوب تفكير جديد. لقد خدع الشيطان حوَّاء بكلماته الرقيقة، وتحدَّث إليها بوصفها تمتلك جمالاً في ذاتها. إنَّه لم يخاطبها على أساس أنَّها قد حصلت على ميراثها مِن آدم، بل خاطبها على أنَّها جميلة بكلِّ بساطة، وهذا المديح أغراها وجعلها تنسى مصدر جمالها. إنَّ الذهن الذي ينظر إلى المرأة ويفكِّر في جمالها بقصد الحصول على شيء منها هو ذهن يستوحي أفكاره مِن الشيطان.

عندما اقتربت حوَّاء إلى زوجها وقد انغمست في تمرُّدها، كان فيها شيء غريب ولكنَّه مثير. وقد شكَّل إحساسها الجديد بما أصبحت عليه، بالإضافة إلى طموحها وجرأتها وثقتها بنفسها، نوعاً مِن الجاذبية بالنسبة لآدم. كان الأمر غريبًا، ولكنَّه كان أيضاً مثيرًا للاهتمام بصورة ملحوظة. إنَّ آدم، عندما أخذ الثمرة، لم يكن يُشهِر عصيانه ضدَّ شريعة الله فحسب، بل كان يضع الأسس لشريعة جديدة أيضاً ـ شريعة ستجعل جميع أبنائه ينظرون إلى المرأة بقصد الحصول على شيء منها. كانت قلوب الرجال ستُطبَع بمفهوم مفاده أنَّ المرأة واهبة الحياة وأنَّ الطريق إلى الحيويَّة والعافية يمرُّ مِن خلالها. وهكذا بدأت عبادة الأنثى المقدَّسة، وصار تصوُّر الرجل في ذهنه لجسد الأنثى العاري هو الرمز الذي أشار إلى عبوديَّته الجديدة. هذه هي الصورة التي ستصبح بالنسبة لمعظم الرجال رمزاً لتلك الصفقة التي تمَّت في الجنَّة؛ حيث يتطلَّع الرجل إلى المرأة لتهبه الحياة بدلاً مِن أنْ تتطلَّع المرأة إلى الرجل لتنال من خلاله الحياة. وفي تلك الصفقة انتقل حبُّ الرجل بشكل مأساوي مِن الأغابي إلى الإيروس. لقد تحوَّل مِن الحبّ الذي يعطي دون أنْ تسعى الذات لكي تحصل على أيّ شيء في المقابل إلى الحبِّ الذي لا ينجذب إلَّا إلى ما يُشبع الذات ويُسِرُّها.

قد يظنُّ الذهن الطبيعي بأنَّ هذا الشكل الجديد مِن الحبِّ هو خطوة إلى الأمام بالنسبة للنساء، لكنَّه في الواقع قيَّد المرأة بأغلال العبوديَّة. فلكي تتمكَّن المرأة مِن جذب الرجل، ولكي تكون جميلة الصورة في عينيه، يجب أنْ تمتلك شيئًا ما لتقدِّمه للرجل. وهكذا، وُلِد عالَم الموضة وعمليَّات تحسين الجسم وتجميله. وأصبحت المرأة تسعى الآن إلى أنْ تظهِر قيمتها للرجل الذي ترغب فيه، وذلك بالاعتماد على ما لديها مِن "إمكانيَّات". وهي ترفض عن غير قصد ما ورثته عن الرجل، وتقترب منه بشروطها الخاصَّة، والتجربة الناتجة عن ذلك تكون جوفاء خاوية بالنسبة لكلٍّ مِن الرجل والمرأة. يُترَك الرجل ليشعر بشهوة لا تنقطع، والمرأة تُترَك في شعور دائم بعدم الأمان.

لاحِظ جيِّداً أنَّ الحبّ الأصلي الذي شعر به آدم تجاه حوَّاء لم يكن مبنيَّاً على ما كانت تمتلكه حوَّاء في ذاتها، بل لأنَّها جاءت منه. لقد أغدق عليها كلَّ ما كان قد مُنِح له لأنَّها خُلِقت منه، وبالتالي كانت جزءًا منه، وقد فهما تمامًا المسؤوليَّات التي تحمَّلها واحدهما تجاه الآخر. هذه هي الأغابي، الحبُّ الأصيل.

ولاحِظ أيضاً أنَّ الطريقة الوحيدة للتأكُّد مِن أنَّ محبَّة الأغابي نقيَّة بالفعل هي أنْ نعرف على وجه اليقين أنَّ المتلقِّي ليس في ذاته شيء متأصِّل قد أوقظ تلك المحبَّة. إذا كانت المرأة تمتلك في الأصل شيئاً لم يأتِ مِن الرجل، عندئذ تستيقظ الإيروس، ويكون واجبًا عليها أنْ تستمرَّ في استحضار الأمر الذي جذب الرجل في المقام الأوَّل، وهذا يؤدِّي إلى الموت. إنَّ أيَّة ميزة في الإنسان تنبع مِن مصدر خارج عن قصد الله هي ميزة عابرة وزائلة، والحبُّ الذي يشترط تحقيقها أو استمرارها لا يمكن أنْ يدوم. لم تكن المرأة ــ بحسب خطَّة الله ــ بحاجة إلى إثبات قيمتها أو توافقها مع الرجل. تذكَّرْ أنَّ آدم أعطى سبب حبِّه للمرأة ــ وهو أنَّها عظم مِن عظامه ولحم مِن لحمه ــ وهذا هو أساس المحبَّة الأصيلة.

وتمامًا كما أنَّ ما ورثته حوَّاء عن آدم كان يقينها في محبَّة الأغابي التي كان يكنُّها تجاهها، هكذا أيضًا ورث المسيح مِن أبيه ما جعله متيقِّنًا مِن محبَّة الأغابي التي أحبَّ بها الآب ابنه، وذلك لأنَّنا قد خُلِقنا على صورتهما. لقد أعلن الآب قائلاً:

وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ [Agapetos] الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متَّى 3: 17).

والطريقة الوحيدة الممكنة التي جعلت الله يحبُّ ابنه محبَّة الأغابي بالفعل هي أنَّ الابن قد نال كلَّ ما كان له مِن أبيه. وهذه هي الطريقة الوحيدة لضمان المحبَّة المعطاءة. إذا كان الآب ينظر إلى عيني ابنه ويحبُّه لأنَّه كلِّيُّ القدرة أو لأنَّه كلِّيُّ العلم، فهذه ليست الأغابي، بل هي شكل مِن أشكال الإيروس. ولكنْ، بما أنَّ الكتاب المقدَّس يخبرنا أنَّ الله قد أعطى ابنه جميع الأشياء، فإنَّ هذا الأمر يكشف أنَّ محبَّته هي محبَّة الأغابي الخالصة، وهي نفسها المحبَّة التي يكنُّها تجاهنا. إنَّنا نحبُّ غيرنا بمحبَّة الأغابي لأنَّه أحبَّ ابنه أوّلاً بمحبَّة الأغابي.

نَحْنُ نُحِبُّهُ [Agape] لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً (1 يوحنَّا 4: 19)

إذا كنَّا نعبد إلهًا يمنح الحبّ على أساس الصفات المتأصِّلة في المحبوب، عندئذ سنقوم نحن بالأمر نفسه. إنَّ ما نراه يصير ما نحن عليه. ولكنْ، إذا قدَّمنا العبادة لابن قد أعطي كلَّ شيء ويستريح مطمئنًّا في يقين مِن ناحية محبَّة الأغابي المعطاءة الجميلة التي يكنُّها له أبوه، عندئذ يمكننا أنْ نتغيَّر لنصير على صورة هذه المحبَّة ونحبّ الآخر كما يحبُّ الله ابنَه.

إنَّ إلهنا هو إله (الأغابي)، وليس فيه (أيروس) على الإطلاق.

2. لا يخجلان

إنَّ الإحصائيَّات لا تحتاج إلى تعليق أو شرح عندما يتعلَّق الأمر بالعلاقات الإنسانيَّة. إنَّ أكثر مِن 50% مِن الزيجات تنتهي بالطلاق في العديد مِن البلدان، الأمر الذي يعطي مؤشِّرات واضحة على أنَّ أولئك الأشخاص الذين تشملهم الإحصائيَّات لم يجدوا في العلاقة ما كانوا يتوقَّعون الحصول عليه. وتكون في غالب الأحيان تجربة الكثيرين مِمَّن يظلّون متزوّجين تجربة موحشة وبائسة للغاية، لكنَّهم لا يلجأون إلى الطلاق لأنَّهم لا يرون خيارات أفضل، أو لأنَّهم يخافون جدّاً مِن التغيير. وموجات خيبة الأمل والارتباك والإحباط والغضب والحزن التي تنتج عن هذه التجارب السامَّة في العلاقات الإنسانيَّة الحميميَّة يمكن تلخيصها بسؤال مستمدّ مِن أغنية استرعت انتباهي بينما كنت أترعرع في مرحلة المراهقة خلال الثمانينات:

ما هو الحبُّ على أيَّ حال؟

هل يحبُّ أحدهم شخصًا آخر على أيَّة حال

في الفصل السابق تناولنا السؤال "ما هو الحبُّ؟ " مِن خلال النظر في ما حدث عندما رأى آدم حوَّاء للمرَّة الأولى. ونذكر أنَّ آدم عندما قال: "هذه عظم مِن عظامي ولحمي مِن لحمي"، فهو لم يحبَّها بسبب ما امتلكته في ذاتها، بل لأنَّها خرجت منه وكانت تمتلك القدرة على أنْ تعرفه وتعرف أحلامه وأفراحه وتطلُّعاته، وأنْ تكون رفيقة له تشاركه الرحلة. والكلمات التالية تلخِّص ما كان في هذه المحبَّة مِن نقاء وبراءة وحرّيَّة:

وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ (التكوين 2: 25)

تحمل كلمة (يخجل) في اللغة العبريَّة المعاني التالية:

- خيبة الأمل
- التأخُّر؛ بمعنى أنْ يكون هناك توقُّع لم يتحقَّق
- الارتباك والتشويش
- الجفاف، وضمنيَّاً، الغربة والأسى

إنَّ ما مرَّ به آدم وحوَّاء هو كلُّ ما نرغب نحن فيه ولكنْ نفشل في الحصول عليه في جميع الحالات تقريباً، هذا إذا نجحنا في الوصول إليه مِن الأساس. إنَّ الطريق الذي ينتقل بنا مِن الفرح والحرّيَّة والرضى والبراءة والألفة إلى الخيبة والارتباك والأسى يمرُّ عبر تلك الصفقة التي أبرهما آدم وحوَّاء عندما أخذا الثمرة المحرَّمة التي لم تكن مِن حقِّهما وأكلا منها؛ وهذه الصفقة هي التي تسبَّبت في سقوطنا مِن الأغابي إلى الإيروس.

نحتاج إلى أنْ ندقِّق في هذه القصَّة الواردة في الكتاب المقدَّس كما يبحث عالِم الآثار عن كنز قديم، وهكذا ننفض بعناية غبار الزمان لنكتشف حقائق التاريخ التي تضفي المعنى على وجودنا. هذا الحبّ المشترك بين آدم وحوَّاء هو حبٌّ شيَّده الله ونمَّاه بعناية ليضمن دوام سعادتهما وعلاقتهما الحميمة إلى

الأبد. إنَّ نشأة أبوينا الأوَّلين تحمل سرَّ هذا الحبِّ الذي لا يعرف العار والذي لم يُخفِ في طيَّاته خيبات الأمل. لاحِظ بعناية ما يلي:

- خلق الله آدم ووضعه في الجنَّة. التكوين 2: 7.
- جعل الله آدم وكيل هذه الجنَّة وسيِّدها. التكوين 2: 8، 15.
- أوصى الله آدم بخصوص شجرة الحياة وشجرة المعرفة. التكوين 2: 16.
- رتَّب الله الظروف التي جعلت آدم يشعر بالحاجة إلى رفيقة. التكوين 2: 20.
- أوقع الله سباتًا على آدم (يمكن أن تشير الكلمة العبرية مجازًا إلى الموت). التكوين 2: 21.
- أخذ الله ضلعًا مِن أضلاع آدم وشكَّل المرأة مِن ذلك الضلع الحي. التكوين 2: 22.
- أحضر الله المرأة إلى الرجل المُقام. التكوين 2: 22.

مِن الضروري أنْ نلتزم بهذا التسلسل لنفهم السرّ الكامن وراء تلك المحبَّة الأولى الخالية مِن العار والتي كانت بين أبوينا. لم يكن لدى حوَّاء مِن شيء إلَّا وكانت قد نالته مِن الله عبر آدم. تلاشت السيادة والسلطة الفرديَّتان التي كانتا لآدم، وأقيم إلى الحياة الجديدة ومعه رفيقة أخذت مِن جنبه. عندما خلد آدم إلى النوم، كان قلبه مفعمًا بالرغبة في أنْ يفتح قلبه الذي كان يفيض بالحبِّ لشخص ما يستطيع أنْ يفهمه. وعندما استيقظ، رأى تلك التي كان بإمكانه أنْ يمنحها كلَّ ما امتلكه وناله مِن الله. إنَّ آدم، إذ كان على علم بهذا كلِّه، منح المرأة كلَّ ما كان لديه. ولديها ضلعه وحمضه النووي وقلبه ومنزله وجنَّته وكلُّ شيء. إنَّها حتَّى تدرك أنَّ آدم بوقوعه في السبات قد تنازل عن جزء منه لأجلها [1]. واستجابة لذلك، ترى المرأة كلَّ ما أعطي لها. وإذ تنظر في عيني زوجها، يمتلئ قلبها بالامتنان والفرح والسعادة. تعيش المرأة كلّ لحظة وهي تعلم أنَّ كلَّ ما تملكه قد أُعطِيَ لها مِن خلال زوجها.

[1] إنَّ نوم آدم قد تردَّد صداه عبر التاريخ في نوم إبراهيم الذي ولَّد الأمة الإسرائيلية، وفي نوم يسوع في القبر الذي أنجب كنيسته، وهو يشير أيضًا إلى التكلفة التي تحمَّلها الآب عندما أوجد الكون.

هذا الاتّفاق بين الرجل والمرأة يمكن أنْ يستمرّ مِن خلال حركة مِن الحبّ الأبدي الذي يفيض مثل النافورة ولن يخزى أبدًا. إنَّ السرّ والمفتاح والمحور والمفصل والجوهر وقلب حركة الحبّ الرائعة هذه كلّها تكمن في الحقيقة البسيطة المتمثلة في أنْ تدرك وتتذكَّر مِن أين جئت وكيف وُجِدت. وطالما تذكَّر آدم أنَّه خُلِق ووضع في الجنَّة ليكون قائدًا وسيّدًا يرعاها ويحميها وليكون وكيلًا أمينًا على كلُّ ما سُلِّم إليه، فإنَّه سيصبُّ البركة التي أعطيت له على تلك التي جُعِل سيّدًا لها. وإذ تنال المرأة كامل البركة مِن زوجها وتتطلَّع إليه باحترام مُحِبّ وتخضع له بفرح وتثق فيه وتطيعه، وإذ تبدي ثقتها في قيادته وتكرم قيادته، فإنَّها تكون كالمرأة الواقفة عند الثر تستمدّ مِن قلبه بَركات ونِعمًا أعظم بكثير ممَّا كان يظهر في السابق.

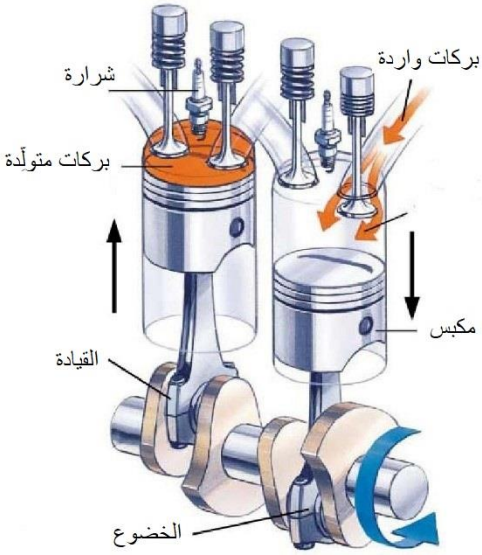

يمكننا أنْ نوضِّح حركة الحبّ هذه مِن خلال عمل محرّك ثنائي الأشواط، حيث يكون آدم هو المكبس الأوَّل، والذي ــ مِن خلال سعادته عند التعرُّف إلى رفيقة جاءت منه ــ يشعل ويُطلِق موجة مِن البركة ترسل وقود الاشتعال المبهج إلى تجويف المكبس الثاني، وفي الوقت نفسه يدير ناقل الحركة الذي يرفع بدوره المكبس الثاني باتِّجاه السقف، ثمَّ يولِّد استجابة مِن المحبَّة. ترفع الاستجابة من المكبس الثاني المكبسَ الأوَّل وتملأ ذلك التجويف بالفرح والخضوع والاحترام والكرامة. وهذا يأتي بالمزيد مِن البَركة، ودورة توليد البَركة والقبول هذه تتدفَّق باستمرار. يا له مِن تصميم رائع! ويا له من توضيح رائع يبيّن كيف يعمل الكون، فنحن مخلوقون على صورة الله (التكوين 1: 27).

وهنا نؤكِّد مِن جديد على أنَّ حركة الحبّ الأبدية هذه تعتمد على أنْ يعرف كلّ شخص أصله الذي جاء منه؛ أنْ يعرف هويَّته الحقيقية ومكانته في خليقة الله. وطالما تذكَّر أنَّه كان رئيس الجنَّة، وأنَّ كلَّ شيء تحت رعايته كان عطيَّة مِن الله، ومع ذلك فكلُّ شيء ما يزال مُلكًا لله، فإنَّه كان يعتني بما أعطي له ويحافظ عليه؛ وكان سيواصل صبَّ بركته على كلّ مَن كان يرعاهم لأنَّ القيام بذلك كان واجبًا يشرّفه القيام به ويُسعده. وطالما كانت حوَّاء تتذكَّر أنَّ حياتها جاءت مِن آدم، وأنَّ كلَّ ما رأته، والذي كانت شريكة مع آدم في قيادته وتدبيره، كان زوجها قد أعطاه لها بمشيئة الله، فعندئذ تكون قد أكملت دائرة البركة، ولم يكن أيّ منهما ليشعر بالخجل أو العار.

3. مخلوقون على صورته ـ النموذج الإلهي

وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»... فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ (التكوين 1: 26، 27).

لقد كشفنا، مِن خلال القراءة المتأنِّية للأصحاحين الأوَّل والثاني مِن سفر التكوين، عن علاقة بين آدم وحوَّاء كانت ستبقى في حركة أغابي دائمة. كان السرّ وراء محرّك الحبِّ هذا يكمن في أنْ يتذكَّر كلُّ فرد من أين أتى وما حصل عليه. لقد انسكبت محبَّة الله التي تساقطت كالشالال على آدم، ثمَّ مِن آدم على حوَّاء لتعود بالامتنان إلى المصدر الذي جاءت منه.

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ هذه العلاقة البشرية الأولى كانت صورة أو نموذجًا لله ولابنه، إذ أنَّنا مخلوقون على صورتهما. فماذا نتعلَّم أكثر مِن هذا النموذج؟

لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي **مِنْهُ** جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي **بِهِ** جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ. 1 كورنثوس 8: 6

يوصف الآب بأنَّ "منه جميع الأشياء" ـ أي أنَّه مصدر الحياة والبركة. ويوصف الابن بأنَّ "به جميع الأشياء" ـ أي القناة التي تمرُّ من خلالها الحياة والبركة. إنَّ الفارق القائم بين ذاك الذي "منه جميع الأشياء" والذي "به جميع الأشياء" هو فرق حيوي لضمان استمرار محرّك الأغابي بالدوران في حركة أبدية. كيف ذلك؟ إنَّ الابن، عندما يعترف بأنَّ جميع الأشياء تأتي مِن الآب، يكون دائمًا في حالة امتنان للآب الذي أعطاه كلَّ شيء. وإذ ينظر الآب إلى ابنه على اعتبار أنَّ الابن قد خرج مِن عنده، يشاء أنْ يسكب عليه بركاته ويمنحه كلَّ شيء، فهذا هو جوهر محبَّة الأغابي التي للآب ـ العطاء. ويستمرُّ محرّك الحبّ هذا في سكب ينبوع البركة طالما أنَّ الأب يحتفظ بهويَّته باعتبار أنَّه الذي "منه جميع الأشياء" والابن أيضًا باعتبار أنَّه الذي "به جميع الأشياء".

وتتكشَّف في هذه الكلمات الطبيعة المتسلسلة لينبوع النعمة هذا:

وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ. 1 كورنثوس 11: 3

فتمامًا كما أنَّ الله الآب هو رأس المسيح، كذلك الرجل هو أيضًا رأس المرأة. وهذا الأمر هو جزء أساسي مِن المعنى المقصود مِن كوننا مخلوقون على صورتهما. والإشارة إلى الرأس ترتبط ارتباطًا مباشرًا بطريقة استخدام سفر التكوين لهذا المصطلح كما يرد في سياق الجنَّة.

وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ **رُؤُوسٍ**. التكوين 2: 10

إنَّ النموذج الإلهي يقدِّم الرأس بوصفه مصدرًا للبَركة، وذلك لأنَّ أبانا السماوي هو مصدر كلّ بَركة. وإذ تنتقل هذه البَركة إلى ابنه، يصير هو رأس الإنسان لكي يفيض عليه البَركة. فينال الرجل هذه البَركة ويصير رأسًا ليفيض البَركة على زوجته. وبالتالي، إلى مَن ينبغي أنْ تتوجَّه الزوجة بالشكر والامتنان؟ إنَّها تُعرِب عن امتناها لكلِّ مَن شارك في القناة التي وصلت مِن خلالها البَركة إليها: لله ولابنه ولزوجها. إنَّ العنصر الأساسي للحفاظ على قناة البَركة هذه يكمن في أنْ تعرف مَن يكون الرأس بالنسبة لك. مَن يكون فوقك وأنت تأتي منه وإليه تُوجِّه امتنانك؟ مِن هنا يتَّضح أنَّ هذا النظام برمَّته يتوقَّف على إدراك الفرق بين الذي أنت تكون منه والذي يكون بك أنت.

إذا قمتَ بفحص الكتاب المقدَّس جيّدًا، فسترى هذا النموذج الإلهي حول الرئاسة والخضوع معلناً في مواضع كثيرة.

المصدر ـ الذي منه	القناة ـ الذي به	المراجع الكتابيَّة
الآب	الابن	1 كو 8: 6؛ 1 كور 11: 3؛ عب 1: 1 – 3
الزوج	الزوجة	تك 3: 16؛ 1 كور 11: 3؛ أف 5: 25؛ 1 بط 3: 1
الأب	الأمّ	الخروج 20: 12؛ أفسس 6: 1؛ كولوسي 3: 20
الأمّ	الأولاد	1 تيموثاوس 2: 15
المسيح	الزوج	1 كورنثوس 11: 3
المسيح	الكنيسة	أفسس 5 : 25
الشيوخ / القساوسة	الرعيّة	1 بطرس 5: 2؛ 1 تسالونيكي 5: 12، 13
المَلِك / الحاكم	الرعايا / المواطنون	رومية 13: 1 – 3؛ 1 بطرس 2: 13، 14
الكتاب المقدَّس	القسّ / الشيخ	2 تيموثاوس 4: 2؛ 1 بطرس 5: 2

وكلَّما اتَّبعنا هذا النموذج الإلهي بشكل كامل، ازدادت البركات التي ستنهمر علينا وعلى عائلاتنا. على سبيل المثال، عندما نُكرِم آباءنا وأمَّهاتنا، ننال الوعد بأنْ تطول أعمارنا. عندما نقدِّر بالغ التقدير مَن هم أعلى مقامًا منَّا ونُحبّهم، فإنَّنا ننال البركة مِن خلال وعظهم بالكلمة وإرشاداتهم التي تحثنا على أنْ نحيا حياة التقوى.

وفضلًا عن بَركات الفرح والسعادة والشركة التي تتدفَّق علينا بشكل مباشر مِن خلال هذا النموذج الإلهي، هناك أيضًا بركات الحماية التي يمكن أنْ نحصل عليها مِن خلال القناة. وفي كلّ الحالات، إنَّ ذاك الذي به تأتي الأشياء يكون تحت حماية ذاك الذي منه جميع الأشياء ويتمتَّع أيضًا بسلطانه. لنأخذ مثالًا يبيّن مقدار الحماية التي يمكن أنْ يتمتَّع بها الطفل، ونرى ما يلي:

1. ينال الطفل الحماية مِن أمِّه،
2. التي تنال بدورها الحماية مِن زوجها،
3. الذي تحميه الشرطة،

4. التي تحميها الحكومة،
5. التي يحميها الله.

وعندما نوجِّه هذه الأمور باتِّجاه روحي، نرى أنَّ:

1. الأب ينال النصح والإرشاج مِن القسّ أو الشيوخ،
2. الذين يخضعون لكلمة الله،
3. التي دوَّنها الأنبياء،
4. والتي أعطاها المسيح،
5. والتي نالها مِن أبيه.

وكلَّما صعدنا إلى مراتب تعبِّر عن النموذج الإلهي، ازدادت حمايتنا وبَركاتنا وسلامنا وفرحنا. يمكننا توضيح نظام البَركات هذا على أنَّه أشبه بنظام ريّ عملاق ينشر روحَ الله في جميع أنحاء الكون، بحيث تصير كلُّ عائلة محطَّة تقوية تحافظ على تدفُّق البركات ورجوع الامتنان مِن جديد. ويصبح كلُّ مجتمع وكلّ كنيسة وكلّ أمَّة أيضًا محرّكات تساعد في التأكُّد مِن أنْ يمتلئ كلُّ عضو في النظام بمحبَّة الأغابي التي للآب.

مِن الواضح أنَّ الاقتراح القائل بأنَّ الله وابنه ينسيان مَن يكونان هو اقتراح أحمق. إنَّ مصدر هذه النافورة لن يتوقف عن التدفُّق. يؤكِّد لنا الكتاب المقدَّس ما يلي:

لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّر. ملاخي 3: 6

يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ. العبرانيّين 13: 8

إنَّ الآب وابنه لن يتغيَّرا أبدًا. ولن يتوقَّف ينبوع الحياة الذي ينبع مِن عرش الله، ولكنَّنا نعلم أنَّ القناة تعرَّضت لاختراق ما. لقد مهَّدت الخطيئة لظهور عمليَّة تفكير كان مِن شأنها أنْ تغيّر قوانين النموذج الإلهي. بدأت أسباب هذه الفوضى مع لوسيفر الذي سقط مِن محبَّة الأغابي التي لله إلى محبَّة الإيروس التي للذات. يخبرنا الكتاب المقدّس كيف أراد الشيطان تشويه النموذج الإلهي:

> كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ.
> إشعياء 14: 12 – 14

نرى في هذه النصوص كائنًا لا يسعى إلى أنْ يكون تحت حماية النموذج الإلهي ورعايته، بل يسعى إلى أن يكون مِثل العليّ، بمعنى أنْ يماثله. يرفض الشيطان أنْ يعترف بحقيقة أنَّه قد تلقَّى كلَّ ما لديه، وهو يسعى بدلاً مِن ذلك إلى أنْ يضع نفسه في مكانة الله. أراد الشيطان في البداية أنْ يكون مساويًا للابن، الذي كان في مرتبة أعلى منه مباشرة. وبدلاً مِن أنْ ينضوي الشيطان تحت سُلطة المسيح، أراد أنْ يكون مسؤولًا بشكل مباشر أمام الله دون أنْ يمرَّ بالمسيح ودون أنْ يكون في مرتبة أدنى

منه. تحرَّك الآب، مِن خلال النموذج الإلهي، للدفاع عن ابنه وحمايته، وصرَّح بالعلاقة التي أقامها المسيح مع الخليقة جمعاء. لم يدافع المسيح عن نفسه ولم يتكلم دفاعًا عن نفسه، فهذا كلّه قام به الآب. رفض الشيطان وصيَّة الآب التي قضت بعبادة ابنه وتكريمه، وبعد ذلك أراد أنْ يكون مثل العلي تمامًا.

كان يرغب الشيطان في أنْ يُنظر إليه كالعليّ الذي ابتدع الكذبة التي قيلت لأبوينا الأوَّلين، "تَكُونَانِ كَاللهِ" وَ "لَنْ تَمُوتَا!". لقد خُلق لوسيفر ليكون حاملًا للنور. لقد وهبه الله أكثر ممَّا وهب أيَّ مخلوق آخر (حزقيال 28: 14). وعندما رأى لوسيفر كلَّ ما أُعطي له، نسي بشكل غريب أنَّ ذلك كلّه قد أعطِيَ له بالفعل وأنَّه قد نال الكثير. إنَّ لوسيفر يدين بكلِّ ما لديه لابن الله الذي خلقه بمشيئة الآب. لو كان لوسيفر قد استمرَّ في النظر إلى الابن بعين التقدير وباعتباره نموذجًا يقتدي به في الخضوع المُحبّ والطاعة لأبيه والامتنان له، لَما كان قد خرج مِن النموذج الإلهي ليسقط في الخطيئة. إنَّ أصل الخطيئة هو أنْ تنسى هويَّتك، هو أنْ تنسى أنَّك قد أخذتَ كلَّ شيء مِن يد ابن الله بمشيئة الله الآب.

إذا كان لدينا ارتباك بأيّ شكل مِن الأشكال فيما يتعلَّق بعلاقة الذي منه والذي به القائمة بين الآب والابن، فإنَّ النموذج الإلهي يتحطَّم في أذهاننا ونتوقَّف عن أنْ نكون جزءًا مِن قناة البَركة. مِن الضروري أنْ نتذكَّر هذا المبدأ:

> وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ. 2 كورنثوس 3: 18

إنَّنا، بصفتنا كائنات مخلوقة، نصير بشكل طبيعي على صورة ما نعتقد أنَّه إلهيّ. إنَّ طريقة فهمنا لله هي التي ستحدِّد ما نطمح لأنْ نكون عليه. لقد عرض الشيطان على الجنس البشري مفهومًا جعلنا نعتقد أنَّه يمكننا أنْ نكون مثل الله، ليس كثيرًا مِن حيث الصفات ولكنْ مِن حيث القوَّة والمعرفة والحياة. إنَّ الأمان الذي في محبَّة الأغابي يكمن في أنَّ نعرف أنَّ ابن الله قد نال كلَّ ما لديه مِن أبيه. وكما ناقشنا في السابق، فإنَّ أيَّة فكرة تقول بأنَّ للابن صفاته المستقلّة التي جعلت الآب ينجذب إليه بأيّ شكل من الأشكال، هي فكرة تدمّر حقيقة أنَّ الله هو فقط إله الأغابي على الدوام. إذا فُهم أنَّ الله ينجذب إلى شيء لأنَّ هذا الشيء يمتلك قوَّة بطبيعته وبحدِّ ذاته، يكون الله بطبيعته إله الإيروس الذي يعشق الجمال والقوَّة والعظمة.

عندما نفهم أنَّ ابن الله باعتبار أنَّه قد تلقَّى جميع الأشياء وأنَّه ما مِن شيء متأصِّل في ذات الابن قد جعل الآب يحسب ابنه معادلًا له، يمكننا أنْ نتأكَّد مِن أنَّ مبدأ الأغابي لن يتلاشى مِن أذهاننا. إنَّ معرفة مَن يكون ابن الله هو سرُّ البقاء في ينبوع المحبَّة. كما قال لنا يسوع:

> قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي". يوحنَّا 14: 6

مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ. 1 يوحنَّا 5: 12

إنَّ السرّ وراء استمرار الزوج والزوجة في علاقة حبّ كالمحرّك ومِن نوع الأغابي هو أنْ يقوما بإكرام الآب على أنَّه الله الذي منه جميع الأشياء ويسوع على أنَّه ربُّنا الذي به جميع الأشياء (1 كورنثوس 8: 6). وعندما يكون هذا النموذج الالهي حاضرًا في أذهاننا، سنتغيَّر لنصير في محيطنا البشري على صورة علاقتهما، تمامًا كما قال الله في البداية أنّنا قد خُلِقنا على صورته.

سيكون مِن الرائع أنْ نعتقد أنَّه يمكننا ببساطة، انطلاقًا مِن موقعنا الذي نشغله في تيَّار التاريخ البشري، أنْ نختار أنْ نحيا الحياة على هذا المنوال، لكنَّ الأمر غير ممكن عندما نفهم مدى فظاعة سقوط الإنسان. إنَّ الوعد الذي قطعته الحيَّة لحوَّاء، والقائل بأنَّنا سنكون مثل الله وبأنَّنا لن نموت، قد خلَّف عواقب وخيمة علينا.

4. الساحرة وصبيُّها

عندما نظرنا في الحبّ الصافي الذي كان في جنَّة عدن، وجدنا في شخصَي آدم وحوَّاء محرّكًا للحبِّ الدائم قد تمَّ تصميمه بحيث يتدفَّق ليصل إلى سكَّان الأرض الموعودين. إنَّ تدفُّق البَركة مِن آدم إلى حوَّاء، ورجوع التقدير مِن حوَّاء إلى آدم، سيبقيان وقودًا دائمًا للمحبَّة التي بينهما. وبقاؤهما راسخين في الجذور القائمة بينهما على الرئاسة والخضوع سيكون بمثابة تذكير دائم لهما بأنَّ كلَّ ما كان لهما قد وهبته لهما محبَّة الأغابي التي لإلهنا الكريم.

ولكنْ، لم يُكشَف لنا كم مِن الوقت دامت حركة الحبّ هذه في جنَّة عدن البديعة، حيث وقعت أحداث مؤسفة كان مِن شأنها أنْ تتسبَّب في توقُّف هذا المحرّك عن الدوران. نريد أنْ نفحص هذه الأحداث بعناية وننظر في الطريقة التي تحطَّم بها الحبّ الأصلي وتمَّ استبداله بالحبِّ الساقط الذي نعرفه اليوم باسم الإيروس.

وجدت حوَّاء نفسها لسبب ما عند الشجرة المُحرَّمة تفكِّر في معنى تحريم الله الأكل مِن ثمرها. أثار فيها صوت ذكي صادر مِن الحيَّة الفضول بقدر ما أثار القلق والشكّ.

فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: "أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟". التكوين 3: 1

كانت حوَّاء تدرك جيّدًا أنَّ الله قد أعطى كلَّ شيء لزوجها، وأنَّها كانت تمتلك بواسطته كلَّ تلك الأشياء مِن خلال الله. والتساؤل الذي طُرح حول وصيَّة الله المباشَرة كان محاولة لزرع الشكوك في ذهن المرأة حول الحقيقة. كانت فكرة التساؤل عمَّا قاله الله فكرة جديدة على حوَّاء، وفي كلِّ لحظة استمرَّت فيها تتحاور مع الحيَّة، ابتعدت أكثر عن مكانتها في خليقة الله. كانت الرغبة التي أغرتها بالدفاع عن الله دعوة للخروج مِن قناة البَركة. وقد كان السؤال دعوة لكي تتعامل مع تلك الأمور بنفسها، وجعلها تنسى أنَّه ما كان ينبغي عليها التحدُّث إلى أيّ متسائل خارجي مجهول دون أنْ تحظى أوَّلًا بالتغطية والحماية مِن زوجها. كان ينبغي أن يكون هذا كافيًا لكي تنصرف بعيدًا مِن دون أنْ تنبت بكلمة واحدة.

نحصل على دليل يشير إلى أنَّ حوَّاء لم تكن تشعر بالراحة تمامًا في إجابتها. وكما هو الحال غالبًا عندما نشعر بالخوف أو نجد أنفسنا تحت ضغط، فإنَّنا أحيانًا نبالغ في تقدير الحالة كما لو أنَّ هذا التحصين الإضافي مِن شأنه أنْ يمنع ذلك الاقتراح مِن اختراق أذهاننا.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: "مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ **وَلاَ تَمَسَّاهُ** لِئَلاَّ تَمُوتَا". التكوين 3: 2 – 3

ولكنْ، ماذا قال الله بالفعل لزوجها الذي لقَّنها فيما بعد؟

وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ **فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا**، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ. التكوين 2: 17

لقد قال الله أنَّهما سيموتان إذا أكلا مِن ثمر الشجرة، ونتيجة خوفها أضافت حوَّاء قائلة أنَّهما سيموتان إذا لمسا ثمر الشجرة. وهذه كانت الفرصة المثالية ليضرب الشيطان ضربته. فإذ وضعت الفاكهة في يديها، واجهت الآن الدليل الواضح على أنَّها كانت تلمس الثمر ولم تكن ميتة بالفعل. لقد خرج مِن فمها الدليل الذي احتاج إليه الشيطان ليثبت ظاهريًّا أنَّ الله كان يكذب.

إنَّ ثقتها في قدرتها على التعامل مع هذا الموقف دون الحاجة إلى راعيها المُعيَّن لحمايتها قد قادتها إلى وضع بدا واضحًا فيه أنَّ الله لم يكن يقول الحقيقة. وفتحت رغبتها في الدفاع عن الله الطريق أمام الشيطان ليجعلها تشكُّ في الله. يا له مِن عدوّ ماكر! وكم هي مغرية حججه!

لم تكن حوَّاء تعلم أنَّها كانت تتواصل مع روح شرّيرة، ولم تكن أيَّة روح شرّيرة، بل كانت تتواصل مع أب كلِّ الأرواح الشرّيرة! قد نجادل قائلين أنَّ المرأة لم تكن لديها أيَّة فكرة عمَّا كان يحدث لها، لكنْ كان لديها ما يكفي مِن العلم لتدرك أنَّه ما كان ينبغي عليها أنْ تتصرَّف مدفوعة بدافع الثقة بالنفس، بل أنْ تركض لترتمي في أحضان الرجل الذي نالت منه كلَّ شيء، والذي أُعطي لها مِن قِبل الله ليكون حاميها الروحي ودرعها.

ونظرًا لأنَّ المرأة كانت الآن أمام دليل واضح لا يمكن دحضه يشير إلى أنَّ الله لم يكن جديرًا بالثقة، فإنَّ لوسيفر وجَّه ضربته ضدَّ الأغابي في حربه التي كان يخوضها ليفرض الإيروس باعتبارها الأسمى والأعظم.

فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: "لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ". التكوين 3: 4 – 5

تتضمَّن عبارة "لَنْ تَمُوتَا" بذرة البدعة السامَّة القاتلة والقائلة بأنَّ حياتنا لا تعتمد على الله، ولكنَّها شيء نمتلكه بطبيعة الحال. أضف إلى ذلك فكرة أنَّه يمكنني أنْ أحصل على الأشياء في العالَم الطبيعي لأحسِّن مِن نفسي وحياتي وقوَّتي، وهكذا نحصل على التركيبة البائسة التي تفصلنا تمامًا عن خالقنا. هذه الكذبة، إذا تمَّ استضافتها والترحيب بها، تقتل الإحساس الطبيعي بالتقدير الذي شعرت به المرأة تجاه الرجل على اعتبار أنَّها خرجت منه ونالت حياتها عن طريقه. ثانيًا، لم تعد المرأة بحاجة إلى الشعور بالتقدير تجاه العالَم الطبيعي مِن حولها والذي أُعطي لها، وذلك لأنَّها مِن خلال "شجاعتها" وجهدها قد وجدت في جوهر ذاتها ما مِن شأنه أنْ يرفعها لتصل إلى هويَّتها الحقيقية بوصفها إلهة. لم تعد تستسلم لعمليَّة التصويت التي تفرز "الهيمنة والسيطرة والذكورية"، بل وجدت طريقًا آخر يؤدِّي إلى الله وكان هذا الطريق يمرُّ مِن خلالها هي؛ كان الطريق عبارة عن إدراك بسيط لألوهيَّتها المتأصِّلة فيها والتي كشفتها لها حكمة الحيَّة "المُحبَّة للخير".

كانت كلمات الحيَّة تُحدِث تأثيرها لأنَّ المرأة قد رأت فجأة شيئًا في الثمرة.

فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. التكوين 3: 6

إنَّ بذرةُ الحيَّة جعلتها ترى الشجرة بوصفها شيئًا جيّدًا بطبيعة الحال، بأنَّها "بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ". لقد انجذبت إلى ما كان في هذه الشجرة مِن صفات جوهرية اعتقدت أنَّها ستمنحها قيمة أعظم، وبتناول ثمارها قد ختمت قرارها بقبول التصوُّر الجديد للواقع، وهو تصوُّر كان مخالفًا لِما قاله الله.

وفي حال غاب عن أذهاننا ما حدث هنا للتوّ، دعونا نستعرض الأمر جيّدًا. كانت حوَّاء تتحدَّث إلى روح شرّيرة. وعندما أكلت مِن الثمرة واتَّخذت قرارًا لصالح ما أخبرتها به تلك الروح، إنَّما كانت تدعو تلك الروح لتسيطر على ذهنها. ولذلك، عندما اقتربت مِن آدم، كان الشيطان قد استحوذ عليها. والأسوأ مِن ذلك أنَّها جاءت إليه ومعها رسالة الروح الشرّيرة التي وعدتها بالقوى السحرية وبأن تصير مِثل الله، وهذا التصرُّف بحكم تعريفه إنَّما يجعل أمَّنا الأولى ساحرة.

عندما رجعت المرأة مِن الشجرة، كانت تحت سيطرة الشيطان. وهي الآن لم تأتِ إلى زوجها بوصفها الزوجة الخاضعة، بل أتت إليه كالمعلِّم الذي ينادي بدين جديد. وإذ يقف آدم أمام حوَّاء، نرى التنبُّؤات التي رسمت مسبقًا عبر العصور معالمَ الرجال الذين وقفوا أمام المعابد الأنثوية، مثل دلفي وغيرها، تلك المعابد التي وعدت بكشف مصيرهم في المستقبل. ونظرًا لأنَّ آدم كان ينظر إلى زوجته التي كانت عظمًا مِن عظمه، فإنَّه كان يتواصل مع روح لم تعد تعترف به على أنَّه سيدها والمُحسن إليها. لقد وجدت توأم روح آخر، وجدت معلِّمًا آخر وعدها بأنْ تنال كلَّ رغائب قلبها دون أنْ تحتاج إلى الخضوع لأيِّ شخص. إنَّها لم تأتِ لتتعلَّم بل لتعلِّم. ولم تأتِ لتخضع، بل لتفرض الخضوع. هذه الروح الأنثوية، التي تحكمها الآن قوى الظلام، ستكون الأداة التي تُستخدم كوسيط مُغرٍ يعمل لصالح لوسيفر في إقناع آدم بأنْ يصبح هو أيضًا صبِّيه المتدرّب.

لم تكن روح الامتنان هي التي كانت تهبُّ مِن حوَّاء إلى ذهن آدم، بل كانت روحًا أخرى، روحًا مضطربة ومنفعلة، روحًا شهوانية ومثيرة، روحًا مُغرية وخادعة. وإذ نظر إليها، انبعثت منها إشارات بصرية وفيرومونات أوحت إليه بأنَّه يثيرها، واستخدمت جسدها كأداة جذب لتستعبد آدم لـ "شكلها الإلهي" الجديد المتأصِّل فيها. والصرخة الصادرة عن الثعبان، والتي كانت بمثابة صفَّارة إنذار، قد سمعها آدم في كلمات هذه الساحرة التي قدَّمت نفسها على أنَّها زوجته المُحِبَّة وهي لم تعلم أنَّها كانت ملبوسة بروح مصَّاص دماء يسعى جاهدًا ليتغذَّى على جثته، ومِن هذا الرماد سيخرج طائر الفينيق على شكل نمرود. كان مِن الجيِّد لو تذكَّر آدم التالي:

> لأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ، وَالشَّرِيعَةَ نُورٌ، وَتَوْبِيخَاتِ الأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ. لِحِفْظِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الشِّرِّيرَةِ، مِنْ مَلَقِ لِسَانِ الأَجْنَبِيَّةِ. لاَ تَشْتَهِيَنَّ جَمَالَهَا بِقَلْبِكَ، وَلاَ تَأْخُذْكَ بِهُدُبِهَا. لأَنَّهُ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ يُفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَامْرَأَةُ رَجُل آخَرَ تَقْتَنِصُ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ. الأمثال 6: 23 – 26

تصارع آدم مع الحيَّة مِن خلال وساطة الساحرة. وفيها وضع لوسيفر قواه السحرية في محاولة لجذب آدم إلى الديانة الجديدة. في يدها كان الوعد بالحياة، ولكنَّ آدم كان يعرف في قلبه أنَّ هذا هو الموت بعينه.

لإِنْقَاذِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، مِنَ الْغَرِيبَةِ الْمُتَمَلِّقَةِ بِكَلاَمِهَا، التَّارِكَةِ أَلِيفَ صِبَاهَا، وَالنَّاسِيَةِ عَهْدَ إِلهِهَا. لأَنَّ بَيْتَهَا يَسُوخُ إِلَى الْمَوْتِ، وَسُبُلُهَا إِلَى الأَخِيلَةِ.
الأمثال 2: 16 – 18

لم يدرك آدم أنَّ زوجته قد ماتت؛ تلك المرأة الجميلة الخاضعة المطيعة التي كان قلبها ممتلئًا بالامتنان لله مِن خلال زوجها قد ماتت عند شجرة المعرفة. بصفتي ابن لهذه المرأة فأنا أحزن عليها، أحزن على أمّي المسكينة الجميلة التي قُتِلت عند شجرة المعرفة واستُبدلت بروح شرّيرة مثل الجحيم نفسه. والأكثر مِن ذلك هو أنَّ الروح الخاضعة اللطيفة التي كانت تسكن في قلب حوَّاء كانت بالفعل روح المسيح، وهي عندما أكلت الثمرة قد سمَّرت المسيح على الصليب، وبالتالي أصبح المسيح الحَملَ المذبوح منذ تأسيس العالَم.

هل كانت تجول في آدم آمال فارغة بأنْ يدخل ــ مِن خلال الأكل مِن الثمرة ــ تلك الأرض المظلمة وينقذ زوجته المسكينة؟ وهل شعر أيضًا بالأمان في حال قام بقتال الشيطان وضربه؟ عندما أفكِّر في أبينا آدم والصدمة التي تعرَّض لها، يكاد قلبي يتَّصل بقلبه مِن شدَّة حزني، وأصرخ قائلًا له: "أرجوك يا أبي! من فضلك لا تخطئ إلى أبينا، لا تخطئ إلى أبي الأغابي!". لكنْ، للأسف، لا سبيل لأنْ تصل كلماتي إلى آذانه، وهكذا يأكل مِن الثمرة.

لقد تمَّ إنشاء نظام عالمي جديد؛ وسيصبح آدم بموجبه عبدًا للمرأة. وستكون هي المعلِّمة، وهو سيكون الطالب أو المتدرّب. والآن سيكون هناك جزء مِن الرجل ينتظر مِن المرأة أنْ تهبه الحياة، ولكنْ، بما أنَّه هو أيضًا قد أخذ مِن الثمرة، فسيشعر بالتصميم على ألَّا يسمح لها أو لسواها بالسيطرة عليه. وكلاهما الآن سيخوض معركة بين الجنسين مِن أجل الحق في التمتُّع والسيطرة. ونظرًا لأنَّنا نعتقد أنَّ الآخر لديه شيء مِن القوة الكامنة في ذاته، تصبح الحياة عبارة عن معركة لامتلاك الأشياء التي ننجذب إليها والتحكُّم فيها.

إنَّ النقاوة والبراءة اللتين وُجِدتا في محرّك الحب الأصيل، الذي أطلق البركة مِن الجهة القائدة والامتنان مِن الجهة الخاضعة، قد استُبدلا بلعبة الانجذاب والنفور المتبادلين. كان هذا عالَمًا جديدًا، حيث مِن المفترض أنْ تتجاذب الأضداد. يُعلِّم الدين الجديد أنَّ كلَّ روح تتمتَّع بالخلود الطبيعي، وأنَّه يمكننا تعزيز قوَّتنا الكامنة فينا مِن خلال الاندماج مع كائن خالد آخر. ويكمن سرّ هذا الشكل الجديد مِن الحب المثير في جذب شريك يرتقي بك، ولكنْ عليك ألَّا تسمح له أبدًا بالسيطرة عليك. إنَّ التجربة الجديدة للعلاقة الحميمة بين الذكور والإناث هي تجربة إغواء ممزوج بالتلاعب الدقيق؛ عملية إظهار لجسدك وإخفاء لروحك. وتجربة الحبّ المقدّس، تلك التجربة التي وفَّرت حركة دائرية دائمة في روابط مِن التقدير والاحترام، استُبدلت بالواقع الجديد الفظّ والمتمثِّل في الانجذاب والتنافر المتبادلين؛ في المتعة اللحظية التي تفسح المجال لمشاعر الفراغ وحتَّى الاشمئزاز [2]. إنَّ شهوة القلب الجديد هذا تسعى دائمًا للحصول على المزيد، ولكنَّها لا تشبع أبدًا. ولم تكن الحركات الجديدة الصادرة عن الرجال والنساء عبارة عن دائرة مِن الحبِّ تنشر روح المسيح في العالَم بأسره، بل كانت عبارة عن امتصاص مغناطيسي يلتهم كلَّ شيء في طريقه مثل ثقب أسود شرّير. تكمن عبقرية محرّك الأغابي في أنَّ كلا العنصرين في المحرّك يدركان أنَّ كلَّ ما لديهما قد أعطِي لهما، وأنَّ الله سوف يعطينا كلَّ

[2] انظر 2 صموئيل 13: 10 – 15 لتحصل على مثال لهذا الأمر. اغتصب آمون أخته لشدَّة شهوته ثمَّ كرهها.

ما نحتاج إليه نظرًا لأنَّ الله هو الأغابي. وعلى العكس مِن ذلك، فإنَّ محرّك الإيروس لا بدَّ أنْ يسعى لأجل التملُّك، وبالتالي لا يشعر أبدًا بالقناعة أو الرضى.

إنَّه لأمر صادم إلى حدٍّ ما أنْ نفكِّر في حوَّاء على أنَّها ساحرة شيطانية. كان هذا هو الحال تمامًا بالنسبة لآدم الذي، عندما نظر إلى حوَّاء، لا بدَّ أنَّه شعر بطريقة ما أنَّ شخصًا في مثل جمالها ورقَّتها لا يمكن أنْ يكون سيّئًا مثلما أوحت بذلك. يميل الناس اليوم إلى التفكير فيما فعلته حوَّاء على أنَّه أمر ثانوي بسيط. لا شكَّ في أنَّها خُدِعت ولم تفهم ما حدث لها، لكنَّ هذا بالضبط ما جعل استخدام الشيطان لها أكثر فتكًا في التسبُّب في سقوط آدم. هل يعني هذا أنَّ الرجال يجب أن يلوموا النساء على السقوط في الخطيئة؟ بالتأكيد لا، كان مصير الجنس البشري بين يدي آدم بالدرجة الأولى، وهو قد اتَّخذ القرار القاتل بصفته رأس الأسرة البشرية. والرئاسة تعني أنَّ آدم كان مسؤولاً عن سقوط الجنس البشري، ولكنَّنا لكي نفهم تمامًا المسائل القائمة بين الرجال والنساء، نحتاج إلى أنْ نفهم قدر المستطاع ما حدث في البداية وكيف سقطنا مِن هذا الحبّ الأصيل.

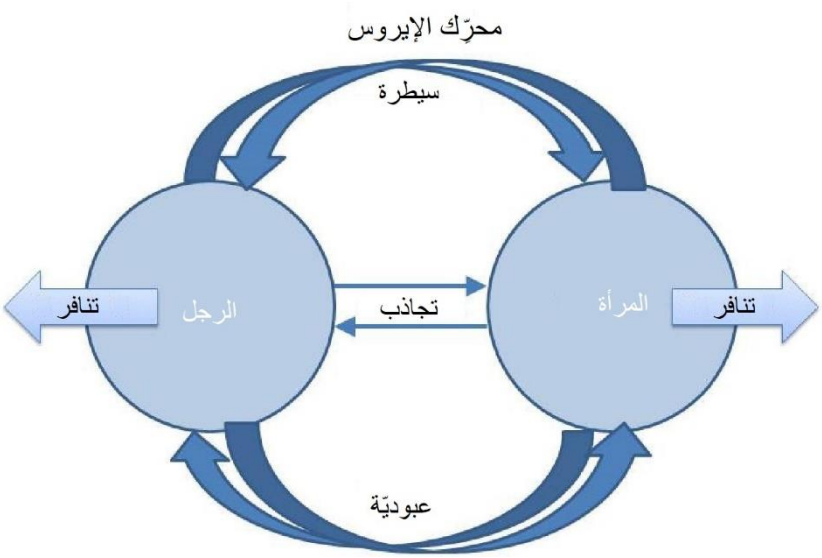

يقول الكتاب المقدس "رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ". يتمتَّع الرجل بعقلية مزدوجة لأنَّه يشعر أنَّه سيّد المرأة وعبدها. إنَّه ينظر إليها على أنَّها كنز ثمين، ويتوقَّع منها أنْ تلبّي ما يحتاج إليه، بينما يرغب في نفس الوقت في السيطرة عليها والتحكُّم فيها. هذه العقلية المزدوجة تجعل الرجل غير قادر على رؤية خطّة الله التي تقصد إرجاعه إلى محبَّة الأغابي التي ستجعله يرغب في أنْ يبارك زوجته ويأمل في أنْ ينال احترامها وإكرامها لرئاسته. وبصفتها كاهنة الدين الجديد، ترغب المرأة في إخضاع الرجل ليكون مجنَّدًا عند قدمها، بينما تشعر في الوقت نفسه بأنها مفتونة ولكنْ خائفة أيضًا مِن قوَّته وسلوكه الحربي.

لا مبالغة في القول أنَّ الكائنين اللذين يسعى واحدهما ليستفيد مِن الآخر وليسطر عليه في الوقت نفسه لا بدَّ أنْ ينتهي الأمر بهما إلى أنْ يدمِّر واحدها الآخر. إنَّ مبادئ الهيمنة والنزعة الاستهلاكية لا تقدر انْ تدرك الخلود، لأنَّها بطبيعتها مبادئ مُدمِّرة. ولولا استنبات بذرة جديدة، فإنَّ التجربة البشرية الساقطة، بكلّ ما فيها مِن تنافر وتجاذب متبادلين يُحدثهما محرّك الإيروس، كانت ستنتهي تمامًا في الجنَّة، إذ أنَّ قوَّتها الفراغية الخاوية كانت ستتسبَّب في انهيارها. على الرغم مِن أنَّ روح المسيح قد طُرِدت عند دخول الخطيئة، إلَّا أنَّ الوعد بموته كنسل المرأة قد فتح الباب لاستعادة بقيَّة نسل آدم إلى ملكوت الأغابي.

5. نسل الأغابي الموعود

عندما أفكِّر في هجرة الطيور، أجد الأمر مدهشًا للغاية، فهناك طيور مثل الأوزّة الكنديَّة تطير بالاعتماد على غريزتها مِن الدائرة القطبية الشمالية إلى الولايات الجنوبية في الولايات المتّحدة الأمريكية لكي تتجنَّب فصل الشتاء القارس في القطب الشمالي. لقد وضع أبونا السماوي داخل الإوزة غريزة تسمح لها بالإبحار آلاف الأميال بدقّة مذهلة من أجل السماح للأنواع الحية بالبقاء على قيد الحياة. هل يمكنك أنْ تتخيَّل لو كان إحساس الأوزة بالاتِّجاهات يقودها بالفعل إلى القطب الشمالي؟ كم سيكون ذلك مدمِّرًا! كان سيتمُّ القضاء على جميع الأوز في العالَم في غضون فترة قصيرة جدًّا.

للأسف، يوضِّح هذا الأمر ما حدث للجنس البشري عندما صدَّق أبوانا الأوَّلان كذبة الحية وبدأا يثقان في أنَّ الحياة التي كانت لهما إنَّما كانت حياتهما بشكل طبيعي. وبدل أنْ يتَّجه قلباهما بالمحبَّة والعرفان لله، فقد نمت فيهما رغبة طبيعية في الصعود والارتقاء إلى أطراف الشمال ليكونا كالعليّ (راجع إشعياء 14: 12 – 14). إنَّ الكذبة القائلة بأنَّهما سيكونان مثل الله قد غيَّرت بالكامل إحساسهما بالاتجاهات، ووضعت الجنس البشري في اتِّجاه الطيران شمالًا بدلاً مِن الجنوب حيث الأمان.

إنَّ محرّك الأغابي المزدوج الذي كان ذات مرَّة محرّكًا جميلًا، قد تعرَّض لدوافع وقوى جديدة حوَّلته مِن نافورة يفيض منها اللطف والصبر والامتنان، إلى بالوعة نتنة تنبعث منها سيول مِن الأنانية والهيمنة والخداع والأكاذيب والكراهية مِن أجل إمتاع الذات.

لقد زُرعت بذرة سامَّة في ذهن حوَّاء، ثمَّ استخدمها الشيطان بطريقة مخادعة ليزرع تلك البذرة في ذهن آدم. وحالما ترسَّخت تلك البذرة في مَخادع عقله المقدَّسة، تمَّ إتلاف المخطَّط الخاصّ بمحرّك الأغابي، وقوانين الوراثة التي تمَّ تصميمها لتعيد إنتاج هذا المحرّك في أذهان أبناء آدم ستحصل الآن بدلاً من ذلك على مخطَّط لمحرّك الإيروس الذي يجعل القلب يطير شمالًا ويسعى إلى أنْ يكون إلهًا، بدلاً مِن الطيران جنوبًا والعبادة الخاشعة للإله الحقيقي واهب كلِّ بَركة وحياة.

هذه البذرة الصغيرة قد استقرَّت في أعمق الذهن البشري. لم يكن ممكنًا أنْ يقوم الله ببساطة بوضع آدم في سبات وينزع تلك البذرة منه. لم تكن المشكلة ميكانيكية، بل كانت مشكلة روحيَّة. لم تكن هناك سوى طريقة واحدة ليتمكَّن الله مِن الوصول إلى تلك البذرة والقضاء عليها؛ طريقة واحدة ليتمكَّن الله مِن الوصول إلى ذهن الإنسان واستعادة محرّك الأغابي. نقرأ عن هذه الخطَّة في التكوين 3: 15، 16. يقول الله في حديثه إلى الشيطان:

> "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ". وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ". التكوين 3: 15 – 16

كانت هذه خطَّة جريئة تنطوي على مخاطر كبيرة. فسوف يولد مِن نسل آدم وحوَّاء طفل من شأنه أنْ يقاتل الشيطان على أرضه ويدمِّر بذور الإيروس السامَّة المخبَّأة في أعماق قلب الإنسان. وفي تلك المعركة سيسحق الشيطان عقبه، لكنَّه سيقضي على الشيطان في النهاية، وسيتمّ إنشاء طريق تنجو

مِن خلاله الأسرة البشرية. لقد انتقل الوعد بذلك النسل مِن جيل إلى جيل، وكان هذا الوعد يتكرَّر في كلِّ مرَّة. وُعد إبراهيم بأنَّ النسل سيأتي مِن خلال عائلته وستتبارك به جميع عائلات الأرض (التكوين 12: 1 – 3). وفي الحديث عن هذا الوعد، يقول بولس في العهد الجديد:

وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ:«وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ:«وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. غلاطية 3: 16

والنسل الذي سيأتي كان هو المسيح. حيث سيأتي مِن السماء ومعه محرّك الأغابي، وسيولد في العائلة البشرية التي تعمل بمحرّك الإيروس. سيكون الصراع شرسًا، حيث سيسعى نسل الحيَّة إلى قتل نسل المرأة ومنعه مِن تدمير محرّك الإيروس في الرجل. كان هذا الصراع عظيماً لدرجة أنَّه بينما كان المسيح يقترب مِن قلعة مملكة الإيروس المشيَّدة في قلب الإنسان، صرخ بهذه الكلمات إلى أبيه:

ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ». متَّى 26: 39

وفي حديثه عن هذا الصراع العظيم الآتي يقول النبي إشعياء:

كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. إشعياء 52: 14

في هذه الحرب الذهنية مع الشيطان، سيُعطى ابن الله الحقَّ في دخول ساحة المعركة مِن خلال أنْ يصبح فردًا مِن أفراد العائلة البشرية. وسيأخذ طبيعة تتضمَّن البذرة السامَّة لكي يقضي عليها. ومِن خلال مبدأ محبَّة الأغابي، سيصنع ابن الله طريقاً في العقل البشري يجعلنا نكره هذه البذرة السامَّة أو نعاديها. وبما أنَّه قد تأكَّد انحدار المسيح مِن نسل آدم، استطاع الله أنْ يضع في قلب آدم وحوَّاء هذه العداوة تجاه نسل الشيطان.

حالما أتى المسيح وشقَّ ذلك الطريق الضيّق مِن خلال حياته التي قاومت محرّك الإيروس في كلِّ مناسبة، أمكنه إذًا أنْ يرمي تلك البذرة السامَّة إلى القبر ويتخلَّص منها.

وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. العبرانيّين 2: 9

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ. العبرانيّين 2: 14

بعد أنْ قضى المسيح على نسل الحيَّة، أصبح بإمكانه حينئذ أنْ يمنح الأمل على طول الطريق الضيّق الذي سار عليه مِن أجلنا. وإذا سلكنا خطواته، سيمكننا نحن أيضًا أنْ نقاوم تلك البذرة السامَّة، لأنَّنا نرث منه بذرته مِن خلال الإيمان به بوصفه آدم الثاني (1 كورنثوس 15: 45). وهكذا، صار مِن الممكن أنْ يتدفَّق ينبوع محبَّة الأغابي الثمين في قلوب الرجال والنساء مِن جديد. يا لها مِن خطَّة

رائعة ومُدهشة! ويا لها مِن محبَّة مدهشة أنْ يبذل الله ابنه لإتمام مثل هذه المهمَّة الخطيرة، لكيما تتاح لنا فرصة الحياة مِن جديد في يبنوع الأغابي الذي يخرج مِن عرش الله.

وبالعودة إلى التكوين 3: 15، نلاحظ أنَّ الله سمح بزيادة مستوى الألم لدى المرأة أثناء الولادة. وهذا كان يرمز إلى الألم الناجم عن الصراع بين النسلين. إنَّ محرّك الإيروس الذي كان لدى آدم كان سينتقل إلى أبنائه بالفعل، والألم الذي تحمَّلته المرأة سيكشف عن الصراع بين نسل المرأة ونسل الحيَّة. سيُعطي المسيح لكلِّ طفل قدرًا مِن النور يجعله يكره نسل الحيَّة. ومع ذلك، فإنَّ نسل الحيَّة، باعتبار أنَّه نقطة البداية الافتراضية الجديدة، سوف يبذل قصارى جهده للقضاء على النسل الجديد الذي مِن المسيح. إنَّ ولادة كلِّ طفل هي تذكير بجهاد المسيح للتغلّب على نسل الحيَّة وبالمعاناة العظيمة التي تحدث مِن أجل أنْ يولد الإنسان في ملكوت النور. لذلك نرى في كلِّ ولادة الحقّ التالي:

> لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ. غلاطية 5: 17

يقدِّم لنا الجزء الأخير مِن التكوين 3: 16 إشارة إلى الشفاء الذي سيحدث مِن خلال نسل المرأة. إنَّ الاستجابة الطبيعية على هذه العبارة هي استجابة سلبيّة، لكنَّها استجابة تنتج ببساطة عن عقليَّة الإيروس التي ورثناها جميعًا.

"وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

بالنسبة للساحرة وبناتها وتلميذاتها التعيسات، فإنَّ هذا التصريح هو إعلان حرب ينبغي الاعتراض عليه بأيِّ ثمن. لكنْ، بالنسبة لأولئك الذين يسيرون في الطريق الضيّق الذي شقَّه المسيح، فإنَّ هذا البيان هو وعد رائع حول استعادة محرّك الأغابي في علاقة الزوج والزوجة. إنَّ رغبة الزوجة في زوجها هو إيقاظ لمحبَّة الأغابي التي تدرك أنَّ جميع الأشياء قد أعطيت لها مِن خلاله. وسيادة الزوج هي تذكير بأنَّ المرأة قد خرجت منه وأنَّها تستحقُّ حبَّه وحمايته. الرغبة والسيادة هما المكبسان اللذان يقدِّمان وعد الأغابي، ويعيداننا إلى صورة الينبوع الجميل الذي يتدفَّق مِن عرش الله. هذه الرغبة التي تنبع مِن قلب المرأة هي نفسها روح المسيح الذي يرغب في أبيه باعتبار أنَّه مَن قد منحه كلَّ شيء. وهذه الرغبة هي التي تحدِّد نظام الملاحة الذي يسمح لنا بالهجرة بامتنان جنوباً نحو أقدام واهب الحياة، بحيث يكون هو وحده الحاكم الذي مِن الشمال. يقدِّم التكوين 3: 16 الوعد باستعادة النموذج الإلهي.

6. الإيروس وذرّيَّتها المستبدَّة

لم يضيّع الشيطان وقتًا في السعي إلى هزيمة النسل الموعود مِن خلال تشغيل محرّك الإيروس لإطلاق موجة من العنف والخراب.

وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. التكوين 6: 5

دعونا نتتبَّع خطواتنا قليلاً لنرى مدى السرعة التي أدَّت فيها مبادئ الإيروس المغلَّفة بكلمات الحيَّة إلى إبادة العالَم بأسره بالماء.

نتذكّر أنَّه عندما جاءت إلى آدم حوَّاء التي كانت قد وقعت تحت سيطرة إبليس وكانت تمسك بالثمرة المحرَّمة، فقد جاءت كرسول. كان الشيطان يسعى لجذب آدم إلى ملكوت الإيروس مِن خلال حوَّاء. وهي سعت إلى كسبه إلى جانبها وجعله تلميذًا متدرّبًا. وها قد دخلَت الآن إلى الملكوت الجديد، نظرَتْ إلى آدم بوصفها قوَّة أمكنها أنْ تقدّم لها العون وتقف إلى جانبها ضدَّ كلّ ما قد يحدث. لقد سعت إلى جذبه بجمالها، وكانت تحمل الثمرة القاتلة وتعرضها أمامه بوصفها كنزًا يليق اقتناؤه. لقد حملت هذه الثمرة في طيَّاتها الوعد بعالَم جديد حيث يكون هو سيّد الكون الخاصّ به. وحوَّاء، بصفتها رسولًا، قد صارت البوّابة التي تؤدّي إلى هذا الوجود الجديد. والبهجة الأوَّليَّة التي أتت بها الثمرة، إلى جانب مغامرة الخوض في المحظور، سرعان ما أفسحت المجال للفراغ والتوقّعات التي لم تتحقَّق. كان هذا هو العري والعار الذي لم يعرفاه من قبل. شعرت حوَّاء بخيبة الأمل التي شعر بها آدم، كما شعرت هي أيضًا بخيبة الأمل لأنَّ زوجها لم يشعر بالرضى ولا بالامتنان، بل كان متباعدًا ومنطويًا قليلاً على ذاته، وربَّما منزعجًا بعض الشيء.

لاحِظ جيّدًا أنَّ عملية إطلاق الوعد هذه التي تؤدّي إلى خيبة الأمل يتمُّ لعبها مرارًا وتكرارًا في العلاقات بين الذكور والإناث. إنَّ بوَّابة الشكل الأنثوي العاري تَعد الرجل بالبهجة وعالَم أحلامه [3]. هذه الرغبة العميقة الجذور في امتلاك المرأة والاستمتاع بها هي الامتداد الطبيعي لرغبة آدم في امتلاك ثمار شجرة المعرفة والاستمتاع بها. تذكَّرْ أنَّ كذبة الحيَّة وعدتنا بالقوَّة مِن الداخل، والآن بدل أنْ ينظر آدم إلى حوَّاء على أنَّها تلك التي خرجت منه، يراها كقوَّة يمكنه مِن خلالها الوصول إلى ألوهيَّته. ولكي يجذب المرأة أظهر قواه بهدف إقناعها. هذه هي عملية الجذب المتبادل. بالطبع، لا تستطيع المرأة أنْ تقدِّم له تجربة الألوهة. سرعان ما تبخَّرت المشاعر اللحظية العابرة، وبقى الرجل ميتًا، بل أقلّ شعورًا بالرضى مِن ذي قبل. وهذه أصبحت دورة مؤسفة بالنسبة لمعظم الرجال. في أعماق نفسه، يعده شكل الأنثى العارية بالحياة والألوهية والربوبية، ومِن ثمّ فالفشل في تحقيق نتائج دائمة يتسبَّب في الشعور بالفراغ والإحباط أحيانًا. يتغيَّر المزاج العامّ ويصبح الرجل أكثر تطلُّبًا، ويتوقَّع مِن المرأة أنْ تقدّم له التجربة التي يريدها والتي ستستمر. إنَّ إحساس المرأة بعدم القدرة على إرضاء زوجها يجعلها إمَّا أنْ تقع في يأس متجمِّد أو تستجيب بالغضب والاشمئزاز مِن

[3] لقد تمَّ تصوير هذه الحقيقة على شكل طقوس وشعائر في العديد مِن الديانات الوثنية، وتمَّ نشرها للعموم في الرواية الخيالية (شيفرة دافنشي).

محاولات الرجل الدائمة [4] وهوسه بالجنس. وهكذا، تنتهي الدائرة بالنفور المتبادل. إنَّ الكثير مِن الجدال الذي يحدث في غرف النوم يصدر مباشرة عن الثمرة التي كانت في الجنَّة والألوهية الموعودة مِن قِبل المرأة العارية المغرية.

هذه هي دورة الإيروس:

1. التجاذب
2. التوقُّع والانتظار
3. التملُّك
4. خيبة الأمل
5. النفور

في صميم التفكير المتأثِّر بالإيروس اعتقاد مفاده أنَّ امتلاك ما يبدو جميلًا ورائعًا ولذيذًا سيعطينا ما نبحث عنه وما نسعى إليه. وهذا الأمر محكوم عليه بالفشل والدمار لأنَّ قصَّة الحبّ الأصيل تكشف أنَّنا لم نُخلق بهذه الطريقة وأنَّنا لا نمتلك بالطبيعة أيَّ شيء يمكنه أنْ يمنحنا أيَّ إحساس بالشبع الدائم.

إنَّ نتائج دورة الإيروس هذه تمتدُّ مِن الشجرة إلى تاريخ العلاقات القائمة بين الذكور والإناث.

> أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. التكوين 6: 2

إذا نظرت بعناية إلى هذه الآية، فسترى أنَّ ما حدث مع حوَّاء يشبه ما حدث مع الثمرة.

[4] في العبرية كلمة "دائمة" هي Tamid، كما ترد في فهرس سترونج للكتاب المقدَّس (Strongs H8548). راجع إشعياء 52: 5 "وَدَائِمًا كُلَّ يَوْمٍ اسْمِي يُهَانُ".

عمليَّة الإيروس	التكوين 3: 6 – 12 أصل الإيروس	التكوين 6: 2 – 5 وراثة الإيروس كما تتجلَّى في العلاقات الزوجية
1. التجاذب (Vidi)	**فَرَأَتِ** الْمَرْأَةُ (H7200)	أَبْنَاءَ اللهِ **رَأَوْا** (H7200)
2. التوقُّع (Veni)	أَنَّ الشَّجَرَةَ **جَيِّدَةٌ** (H2896) لِلأَكْلِ	بَنَاتِ النَّاس أَنَّهُنَّ **حَسَنَاتٌ** (H2896)
3. التملُّك (Vici) [5]	**فَأَخَذَتْ** (H3947) مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ	**فَاتَّخَذُوا** (H3947) لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا.
4. خيبة الأمل	(7) ... وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ	(4) وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ [6]
5. التنافر	(8) فَاخْتَبَأَ آدَمُ... الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي	(5) شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.

ترد الكلمات (رأت، جيِّدة، أخذت) في التكوين 3: 6 بنفس التسلسل الذي ترد فيه الكلمات (رأوا، حسنات، اتَّخذوا) في التكوين 6: 2. إنَّ رؤية شيء حَسَن وأخذه لإشباع رغبتك الشخصيَّة هو المبدأ الأساسي الذي للأيروس. يتمُّ إغواء أبناء الله تمامًا مثل أمِّهم الأولى. وهم يرون أنَّ المرأة جيِّدة لإشباع الجسد، فيأخذونها ويمتلكونها ويلتهمونها. في كلِّ مرَّة يشتهي فيها الرجل امرأة، إنَّما يقف عند الشجرة ويأخذ الثمرة مِن الحيَّة. وفي كلِّ مرَّة يشتهي الرجل فيها امرأة، يتمُّ إغواؤه بالكذبة القائلة بأنَّ المرأة لديها القدرة على منحه الحياة وتحسين مكانته في العالَم الطبيعي.

وينبغي أنْ يكون مِن الواضح أنَّ تلك النساء الجميلات لم يجلسن ببساطة في المنزل واثقات مِن أنَّ الربَّ سيأتي إليهنَّ بالرجل المناسب، بل كنَّ يحاولن إبراز كلِّ انحناءة في جسدهنَّ وكلِّ ميزة أمكنهنَّ استغلالها للتأثير على الرجل. في كلِّ مرَّة تنظر فيها امرأة إلى نفسها في المرآة وتسأل نفسها قائلة: "هل مظهري جذَّاب؟ هل سألفت الأنظار في هذا الفستان؟"، فإنَّها تقف عند الشجرة وتأخذ الثمرة مِن

[5] مقتسبة مِن كلمات يوليوس قيصر حين قال متفخرًا: "أتيتُ، رأيتُ، قهرتُ" http://en.wikipedia.org/wiki/Veni,vidi,vici. في حالة حوَّاء، فهي رأت الثمرة وتقدَّمت متوقِّعة امتلاكها.
[6] الإعلان عن أبناء جبابرة يشير إلى النزاع الحربي والقلاقل.

الحيَّة. في كلّ مرة تسعى فيها المرأة إلى ارتداء الملابس وترغب في أنْ ينظر الرجال إلى جمالها، فمِن المؤكَّد أنَّها ستتذوَّق ثمرة الإيروس المُرَّة.

إنَّ لعبة المغازلة هذه بين الرجال والنساء، حيث يتطلَّعون إلى الحصول على شيء مِن الآخر ويرغبون فيه، تخلق دورة الإيروس الطبيعية التي تتكوَّن مِن التجاذب والفراغ والتنافر.

إنَّ المشاعر السلبية المتراكمة بين الرجال والنساء تصبح بذرة الجيل القادم. وبدلاً من أنْ يكبروا عالمين بأنَّ كلَّ ما يمتلكونه إنَّما قد أتى مِن والديهم ويسعون إلى تكريمهم وإرضائهم، فإنَّهم يسعون بدلاً مِن ذلك إلى إطعام الجسد وإشباعه والقيام بكامل عمليَّة البحث عن الألوهيَّة مِن خلال بوَّابة الجسد الأنثوي العاري. يذكر الكتاب المقدَّس شيئًا مُهمًّا عن الأطفال الذين وُلِدوا نتيجة علاقات كهذه:

> كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ **الْجَبَابِرَةُ** الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. التكوين 6: 4

تشير كلمة (الجبابرة) إلى المحاربين الأقوياء والطغاة. إنَّ الأبناء الذين اختار آباؤهم النساء على أساس جمال المظهر قد أعادوا تأدية الذي حدث في الجنَّة، حيث أقاموا علاقاتهم على أساس مبادئ الإيروس؛ لقد بحثوا عن كلِّ ما يُشبِع النفس ويعزّزها. وفي غضون أجيال قليلة، حوَّل هذا المبدأ العالَم إلى مكان للعنف والفساد. لقد كانت أفكار قلوبهم شرّيرة يومًا بعد يوم.

على الرغم مِن أنَّ روح المسيح العذبة كانت متاحة لأبناء الله، لكنَّهم اختاروا أنْ يسلكوا طريقًا مختلفًا. وعندما اختاروا النساء على أساس كونهنَّ حسنات المنظر، فقد كشفوا أنَّ قلوبهم كانت مليئة بالإيروس وليس بالأغابي. وهذا الأمر يكشف أنَّ روح المسيح قد رُفِضت. ولم يكن واحدهم يقول: "هذه عظم مِن عظمي ولحم من لحمي"، بل كان يقول: "أووه يا رجل!". والنساء أيضاً، في سعيهنَّ لأنْ يتمتَّعن بحسن المظهر بهدف جذب الرجال، اخترن الإيروس بدلاً مِن الأغابي. كما رفضن هنَّ أيضًا روح المسيح. إنَّ أيَّة علاقة تُبنى على هذا الأساس لن تصمد أمام اختبار الزمن. ستكون النتيجة دائمًا ثمارًا فاسدة.

ماذا لو كنتُ قد تزوَّجتُ مِن خلال هذه العمليَّة، والآن أنا أعترف أنَّ الانجذاب الجسدي كان محوريًّا للعلاقة التي تشكَّلت؟ انظرْ إلى ابن الله، واعلمْ أنَّه محبوب وعزيز لأنَّه خرج مِن عند الله (يوحنَّا 17: 8). وإذ نراه كما هو، يمكننا أنْ نتغيَّر لنصير على صورته ونتعلَّم أنْ نُحِبّ الآخرين بمحبَّة الأغابي. بالنسبة للكثيرين منَّا، فقد عشنا عقودًا مِن الزمن ونحن نفكّر بطريقة خاطئة ونطلب الأشياء مِن شركائنا. هذا التفكير لا يمكن أنْ يتراجع في لحظة. إنَّ مفتاح التغيير هو أنْ تعرف بالضبط مَن يكون ابن الله. إنَّه حجر الزاوية في الأغابي، فهو قد أُعطِيَ كلَّ شيء. وإذ نفكِّر فيه يومًا بعد يوم ونرى روحه اللطيفة والخاضعة حيث نستريح دائمًا في رعاية الآب، نصير مثله. وكلَّما نظرنا إليه أكثر، رغبنا في أنْ نكون مثله وصلّينا لكي تسود روحه في قلوبنا. عندما ندرك الثمن الذي كان مستعدًّا لأنْ يتكبَّده لكي يعطينا مِن جديد روح الأغابي التي له، سنمتلئ بالامتنان. وعندما ندرك أنَّ الآب كان على استعداد لأنْ يبذله لأجل هذا الغرض، ستبدأ قلوبنا في أنْ تحيا حقيقة الأغابي. 1 يوحنَّا 4: 8 – 10.

ماذا لو كنتُ في علاقة بدأت بشكل خاطئ ولكنَّني لم أتزوَّج؟ سوف نتناول هذه الحالة بالتفصيل في فصول لاحقة، ولكنَّ الإجابة المختصرة هي أنْ تنظر إلى ابن الله وتتوب عن رغبتك في التملُّك. فهذا يؤدِّي فقط إلى الفراغ والحزن والعنف المحتمل.

وهنا قد يفكِّر البعض قائلين، "هل تريد أنْ تقول أنَّه لا ينبغي أنْ يستمتع الناس بالجنس؟". مِن الواضح أنَّ الله قدَّم الجنس ليكون هديَّة نستمتع بها في مكانها المناسب. إنَّ المسألة التي نتطرَّق إليها هو الدافع وراء تلك المتعة وما ترمز إليه في قلوب الرجال والنساء. ما أظهرناه هنا هو أنَّ اللقاءات الجنسية القائمة على السعي وراء الطموح الشخصي والرغبة ستؤتي ثمارها التي تترك المرارة في النفس.

إنَّ بذرة الإيروس التي زُرِعت في قلوب الرجال والنساء لم تقتصر على العلاقات فيما بينهم، بل أصبحت هي العملية الطبيعية التي تحدث كلَّما أدرك المرء وجود قوَّة أخرى. بالطبع، فقد أصبح كلُّ شيء في مملكة الإيروس عبارة عن قوَّة. إنَّ تجربة الأكل مِن ثمار الشجرة قد جعل كلَّ شيء في العالم الطبيعي قوَّة محتملة لتعزيز الذات. وأصبحت الأشياء التي يمتلكها الآخرون كنزًا مغريًا. ويمكن بسهولة أنْ يصبح زوج أو زوجة شخص آخر مصدرًا للجذب. لقد صار هذا كلّه أمرًا طبيعيًّا في عالَم الإيروس. السؤال الوحيد الذي ينبغي طرحه هو، هل يمكنني امتلاك هذه القوة مباشرة بالغصب والإكراه أم بالتلاعب الخفي؟ إنَّ هذا ما جعل أفكار الإنسان شرّيرة يومًا بعد يوم. وبدلاً مِن النظر إلى العالَم المخلوق باعتبار أنَّه عطيَّة مِن أبينا، أبي الأغابي، ومِن ابنه، أصبح كلُّ شيء كنزًا نأخذه ونمتلكه لكي نصير آلهة.

للأسف، بما أنَّ الإيروس تعتمد على ما يمكنها أنْ تراه، فإنَّ الإله غير المنظور الذي خلق كلَّ شيء قد تلاشى مِن الأذهان. ومهما كانت طبيعة وجود الله، فقد كان ينبغي أنْ يعمل في العالَم الطبيعي لكي تراه العيون. بما أنَّ البشر قد وقعوا تحت تأثير الشيطان، فإنَّ موقفهم الطبيعي تجاه الله سيكون مماثلاً لما يرغب به الشيطان تجاه الله. وبالطبع، فقد كانت رغبته ببساطة هي أنْ يكون الله بكلّ قدرته ومجده. (إشعياء 14: 12 – 14). وضمن مملكة الإيروس سيصبح امتلاك القوَّة التي لا يمتلكها أحد سوى الله واحدًا مِن أعظم الهواجس التي تسيطر على البشر. وأصبح اكتساب رعاية الله للحصول على قدرته الإلهية في صميم كلّ الأديان التي صنعها الإنسان. في الواقع، لقد كان التعرُّف بالإله الحقيقي أمرًا عرضيًّا وغير مُهِمّ، الأمر الوحيد المُهِمّ هو القوَّة كما تُفهَم في العالَم الطبيعي. وهذا ما دفع الناس إلى عبادة مختلف أنواع الأشياء في سعيهم المحموم للوصول إلى ما اعتبروه إلهيًّا.

> لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ.
> رومية 1: 21 – 23

مِن خلال الجمع بين ثمار الشجرة والمرأة الرسول، طوَّر الإنسان أنظمة دينية تعبد العالَم الطبيعي، وخصوصًا المبدأ الأنثوي. وأصبحت التجربة الجنسية بالنسبة للكثيرين بوَّابة تؤدِّي إلى الألوهة، وهكذا بدأ الرجال يتحرَّقون بالشهوة لا للنساء فحسب، بل لغيرهم مِن الرجال والمخلوقات الأخرى، بمعنى أنّهم اشتهوا أيَّ شيء كان يُعتَبر قويًّا ويتمتَّع بنفوذ. وهذا كلّه كان امتدادًا طبيعيًا لمبدأ الإيروس. وأصبحت الصلاة إلى الله عبارة عن عمليَّة تنطوي على القيام بمجموعة مِن الطلبات بهدف الامتلاك.

مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ. أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ [الإيروس] عَدَاوَةٌ للهِ [الأغابي]؟ [7] فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا [الإيروس] لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ [الأغابي]. يعقوب 4: 1 – 4

هذا البحث عن السُّلطة والهيمنة، مِن خلال العالم الطبيعي وتشويه معرفة الله الحقيقي، غذَّى العنف والفساد اللذين تسبَّبا في تدمير العالَم القديم بالماء. لقد غرق البشر حينئذ في طوفان مِن الإيروس. كيف ستكون استجابة نسل المرأة لهذه المأساة؟

[7] يشير (العالَم) إلى المبدأ الدافع للإيروس، والمتمثل في السعي وراء الذات بدلاً مِن السعي لاتِّباع الله الذي يعطي بسخاء، وذلك لأنَّ طبيعته هي العطاء.

7. حزن الله

فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. التكوين 6: 6

في كلِّ لحظة يخرج مِن عرش الله تيَّار عظيم مِن النعمة والمحبَّة والقدرة التي تمنح الحياة للأرض. كما أنَّ التلال المهيبة التي تكسوها الأشجار والأزهار والنباتات ذات الألوان والروائح المتعدِّدة تشكِّل خلفية حيَّة لمنازل بني البشر. وتتوزَّع على موائدهم الفواكه اللذيذة والخضار الطازجة وآلاف النكهات المختلفة والمأكولات الشهيَّة. تنبض ملايين القلوب بنبض الحياة الذي يتدفَّق مِن صاحب الخلود. إنَّ العطاء لمِن دواعي سرور الله. ومع ذلك، فمنذ أنْ سقط الإنسان، لم تصدر عنه استجاب بالامتنان، ولا شكر مِن القلب. حتَّى بين الذين ينجحون في رفع صلاة الشكر وهم على وشك أنْ يتناولوا الطعام، تكون كلماتهم عبارة عن طقوس للتقوى والورع بهدف أنْ يقتنع المتحدِّث، وأنْ يُقنِع المستمعون، بمدى شعورهم بالامتنان بالفعل، بينما يكونون في الواقع قد أتوا لمجرّد إلقاء النظر والاستحواذ والتملّك.

ويطلقون على هذا اسم "سنّ العامين المزعج"، وهو اسم يلخِّص ما يشعر به الوالدان مِن ألم وصدمة عندما يقوم المولود الجديد بتقطيب الحاجبين ويقول كلمة "لا!". يا للعجب، فقلب الطفل يضمُّ الكثير مِن الحماقة والتحدّي! أمٌّ تتسوَّق مع طفلها الذي بدأ للتو في تعلُّم المشي، فيرى الطفل شيئًا يعجبه وتمتدُّ يده بشكل غريزيّ ليستحوذ عليه. إنَّ بذور الإيروس تأتي بثمارها السامَّة. تمرّ الأم بجانبه آملة أنْ يتلاشى الطلب. يبكي الولد بكاءً يائسًا، ويبدأ المشهد الدرامي بشكل جدّي، وتنشب المعركة الآن بين رغبتين. يمدُّ الطفل يده ويبدأ في سحب الأشياء مِن الرفّ مع استمراره في الإلحاح على طلبه. لدى الأم الخيار في أنْ تقدِّم شيئًا لتهدئة الطفل، أو أنْ تحاول أنْ تتحمَّل الدراما المتزايدة مِن خلال الصراخ والبكاء وكلُّ تكتيك معروف لتصل إلى مبتغاها. في هذه الأثناء، تتمُّ معارضة كلّ التوجيهات التي يتلقَّاها الوالدان ومقاومتها. هذه طبيعتنا البشريَّة المجرَّدة. بالنسبة لغالبية البشر، فإنَّ العمر يعلِّمنا فقط أنْ نكون أكثر مكرًا وتحسُّبًا في الإفصاح عن رغباتنا في النظر والاستيلاء والامتلاك.

لا يمثِّل سنّ العامين المزعج سوى مقدِّمة لسنوات المراهقة الأكثر فوضى في كثير مِن الأحيان، حيث تصبح ساحة المعركة أكثر تعقيدًا، لكنَّ المقاومة هي نفسها. وفي مرحلة ما، يشعر الوالدان بثقل الحزن. يبدو أنَّ ذكرى المولود الجديد العزيز على القلوب والذي قدَّما له الرعاية والحبّ والاهتمام فجأة صارت لا تعني سوى القليل؛ بدلاً من ذلك، غالبًا ما يتم إلقاء هذه الذكرى عليك كتكتيك للتخويف. يدفع الحزن الناتج العديد مِن الوالدين إلى النضال بتصميم على سحق المعارضة. وغالبًا ما تناشد الأمَّهات الآباء للتراجع عن غضبهم الذي يثور ردًّا على التحدّي المتكرّر ونكران الجميل وعدم الاحترام. يقوم بعض الوالدين، نتيجة اندفاعهم لتهدئة مراهق عنيد، بشراء المزيد والمزيد مِن الأشياء وتقديمها له، لكنَّ مستوى الرضى يستمرُّ في الانخفاض بينما تستمرُّ الطلبات في الازدياد. هذه هي الثمرة التي تأتي مِن الساحرة وصبيّها المتمرّن.

لو قُدِّر لنا أنْ ننظر إلى الأمور مِن عرش الله ونشهد كيف غرق في روح الإيروس جميع البشر وكيف يحاولون الاستحواذ على الأشياء نفسها التي منحنا إيَّاها الله مجَّانًا لتكون علامة تشير إلى محبَّة الأغابي التي يحبُّنا بها، عندئذ قد نبدأ في فهم سبب حزنه وأسفه. فالناس الذين اعتلَّت أذهانهم وعجزوا عن إدراك الحقائق الروحية لا يتمتَّعون بالقدرة على إدراك أنَّه موجود. وحدها الجمرة الصغيرة التي للنسل الموعود تهمس بصوت خافت في أعماق الضمير لتقول بأنَّ هذا كلَّه قد أُعطِيَ مجَّانًا مِن قلب عامر بمحبَّة الأغابي.

وفي كلِّ مرَّة يُعاد عرض مشهد الإيروس في الجنَّة، يقلُّ إيمان الإنسان بأنَّه مستقبِل للحبّ. كلَّما حصل على المزيد لنفسه، قلّ شعوره بالامتنان وقلَّت قدرته على العطاء. إنَّ كلَّ دورة مِن دورات الإيروس التي تحوّل التجاذب إلى خيبة أمل تخلق رغبة أقوى في الكسب والأخذ، وذلك للتخفيف مِن خيبة الأمل. لذلك، نرى ولادة الإدمان، وهو الانخراط في عملية تعدك بالسعادة والنعيم ولكنَّها تترك في نفسك مشاعر الفراغ والاكتئاب. الإدمان هو التعبير المثالي عن الإيروس، حيث يسيطر على الروح سيطرة كاملة.

وبالنقيض مِن ذلك، يرد مبدأ الأغابي البسيط على النحو التالي:

... مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا. متَّى 10: 8

إنَّه مبدأ بسيط ولكنَّه قويّ. كلَّما أدركت أنَّك قد أُعطِيت الكثير، زادت احتمالية قيامك بالعطاء بالطريقة نفسها. وحده مَن يعلم أنَّه مبارَك يمكنه أنْ يبارك غيره. وحده مَن يحيا في حالة مِن الامتنان يمكن أنْ ينبعث منه حقًّا الشعور بالوفرة والكمال. كما أعلن كاتب المزمور:

تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا. إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ. المزامير 23: 5 – 6

إنَّ الامتنان يجعل الكأس تفيض على الآخرين. وبمجرَّد أنْ تبدأ هذه العملية، يمكن أنْ تتمدَّد موجاتها لتلمس قلوب الملايين. كان هذا هو القصد مِن محرّك الأغابي الذي كان القصد منه أنْ يبارك جميع قبائل الأرض. وكان مِن المفترض أنْ يكون آدم وحوَّاء نبض الحب الأصيل العظيم المفعم بالامتنان والذي يتدفَّق في موجات عظيمة تصل إلى جميع أبنائهما. ولكن الآن قد سيطر محرّك الإيروس، وروح الإنسان التي كانت تنبض بالحياة ذات يوم أصبحت صحراء تجول فيها رغبة خاب أملها في الاستيلاء والاستحواذ.

عندما ينظر الله إلى سكَّان العالَم بحثًا عن أي شخص يستجيب لبذرة الأغابي، وعندما يبدو أنَّ كلَّ شيء قد ضاع، حنيئذ يستجيب رجل واحد.

وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. التكوين 6: 8

أحبُّ بساطة هذه الآية. فنوح، إذ كان يتأمَّل في العالَم، نظر بالإيمان إلى ما وراء العالَم الطبيعي في عيني الله ليرى النعمة والرضى والرحمة. امتلأ قلب نوح بالامتنان. إنَّ السرَّ الكامن وراء الفرح هو أنْ تدرك أنَّك مبارَك وأنَّ البركة تأتيك مِن قِبل ذاك الذي يجلس على عرش الكون. هل يمكننا أنْ نتصوَّر كم كان الله راضيًا عن الأمر! فبعد مرور مئات السنين مِن عدم استجابة البشر لفيض نعمته، تومض شرارة الامتنان في نفس نوح. وتسكن روح يسوع في قلب إنسان وسط خراب شبه شامل. إنَّ نسل الأغابي يحيا في الإنسان! نتيجة لذلك، يفيض الله البَركة على الجنس البشري حيث حافظ عليه مِن الانقراض الذي تسبَّب به نسل الإيروس. لقد كان نوح هو النموذج الأوَّلي للنسل الآتي الذي سيسحق رأس الحية.

لقد أصبح نوح، مِن خلال معرفته بصلاح الله، قناة تسري من خلالها البركة إلى جميع مَن تجاوبوا مع رسالته. وإذ رأى محبَّة الأغابي في الله، صار مِن وسائط النعمة بالنسبة في هذا العالَم. كانت رسالته بسيطة: سينتهي العالَم، وكدليل على ثقته في الله، قام بحسب أمر الله ببناء سفينة كبيرة استعدادًا لهذا الحدث. ومَن صدَّق نوح واستعدَّ للدخول إلى الفلك كان فقد نجا. أمَّا الذين رفضوا نوح معتبرين أنَّه أحمق، كانوا سيدركون بعد فوات الأوان أنَّهم رفضوا الوسيلة الوحيدة المتاحة لهم للنجاة.

لقد ظلَّ روح الله، على مدى قرون عديدة، يناشد الناس أنْ يبتعدوا عن مبدأ الإيروس ويستجيبوا لنسل الأغابي الموعود الذي يُمنح لأولئك الذين أظهروا إيمانهم بالحمل المذبوح. والناس تجاوبوا بتمرُّد، حيث ازداد فسادهم. كما أنَّ الانخفاض المستمرُّ في إحساسهم بالشبع والرضى دفعهم إلى البحث عن تجارب جنسية أكثر عبثًا وفظاعة مع مرور كلِّ سنة. وأصبح الأطفال على نحو متزايد ضحايا للشهوة الدنيئة. كما أنَّ المبدأ الشهواني القائم على محاولة التلاعب بقوى الطبيعة للحصول على رغباتهم قد دفعهم إلى تقديم ذبائح بشرية والقيام بأكثر الممارسات الجنسية انحرافًا وأمكن للعقل أنْ يتخيَّل حدوثها.

إلى متى يستمرُّ صراخ الأطفال الصغار المُعدّين لإشباع ملذَّات الفاسقين وأهواء الأشرار؟ مَن يقدر أنْ يدرك حزن الله وهو يشهد مِثل هذه الجرائم الرهيبة؟ يومًا بعد يوم، وسنة بعد سنة، وقرنًا بعد قرن، استمرَّ السعي وراء المرح والمتعة والنزوات مِن دون احترام لذاك الذي أعطى هذه الأشياء جميعها. كان لا بدَّ أنْ يتوقَّف ذلك. ولكنْ، حتَّى في ذلك الحين، قدَّم الله للبشر طريقًا للنجاة في حال اختاروا ذلك.

لمدَّة 120 سنة مدَّ الله يده للإنسان الساقط مِن خلال كرازة نوح الذي توسَّل إلى الناس ووجَّه إليهم النداء والتحذير، لكنَّهم ظلُّوا بلا حراك. وحتَّى المشهد المذهل للحيوانات وهي تسير بكلِّ نظام لتدخل الفلك لم يحرّك فيهم شيئًا. ولم تتأثَّر قلوبهم، بل ظلَّت غير نادمة وغير مُخَلَّصة.

ومع بدء تساقط قطرات المطر، يعتريهم إدراك مقزّز بأنَّ حياة الجحود الدنيء الذي أظهروه تجاه الله قد تنتهي. وإذ يضرب البرق الأرض بشدَّة ويهزُّها الرعد بعنف، يتذكَّر الرجال الوجوه البريئة التي التهموها ودمَّروها لإشباع شهواتهم. إنَّ الأرض قد تقيَّأت حرفيًّا هذه القذارة الذميمة في فعل اشمئزاز. كانت الطبيعة تئنُّ تحت وطأة شرّ الإنسان، وها قد حصدت الآن بذورُ الإيروس السامَّة مكافأتها الكاملة. وشاهد الرجال في رعب كيف جرفت المياه منازلهم محطِّمة المذابح الوثنية. ومزَّقت صرخات الرعب الهواء، وكانت الشتائم نحو الله على شفاه الأثمة. لقد نفذ الصبر الإلهي، والآن قد

تمَّ اعتراض الطريق حيث كان يسلك تيّار الشرُّ العظيم ومعه مذابح الأبرياء. لقد زرع الناس في الأرض بذور الإيروس، والآن قد جلبت عليهم الأرض شرورهم. وعنف الرجال قد ارتدَّ عليهم الآن في عنف الأرض. لقد تأسَّف الله أسفًا شديدًا لأنَّه كان مضطرًّا لأنْ يسمح للرجال بالنتائج المترتِّبة على ما اختاروه. لقد دفعوه إلى القيام بذلك، وهذه كانت النتيجة.

> هَلْ تَحْفَظُ طَرِيقَ الْقِدَمِ الَّذِي دَاسَهُ رِجَالُ الإِثْمِ، الَّذِينَ قُبِضَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْوَقْتِ؟ الْغَمْرُ انْصَبَّ عَلَى أَسَاسِهِمِ. الْقَائِلِينَ للهِ: ابْعُدْ عَنَّا. وَمَاذَا يَفْعَلُ الْقَدِيرُ لَهُمْ؟ وَهُوَ قَدْ مَلأَ بُيُوتَهُمْ خَيْرًا. لِتَبْعُدْ عَنِّي مَشُورَةُ الأَشْرَارِ. أيُّوب 22: 15 – 18

إنَّ كلَّ ما أراد الله أنْ يمنحه للإنسان لكي يستمتع به ويشاركه مع الآخرين ولكي يحيا في ظلِّ بركاته، قد انتزعه نسل الحيَّة. مَن يقدر أنْ يدرك مدى أسف الله إذ يفكِّر في هذه الأشياء؟ ومع ذلك، فقد تمَّ إنقاذ ثمانية أرواح مِن الطوفان. كان قلب نوح يختلج برجاء النسل الموعود وبالوعد ببداية جديدة.

8. رجل البركة

على الرغم مِن أنَّ الطوفان قد طهَّر الأرض مِن أعمال الناس الدنيئة التي تحكمها رغباتهم في أنْ يحصلوا على الأشياء ويستولوا عليها لذاتهم، فإنَّ بذور الإيروس قد علقت بالجنس البشري مِن خلال أبناء نوح. لم يكتفِ حام بأنْ يرى عورة أبيه، بل إنه انخرط في نشاط جنسي مع أمه بينما كان أبوه مخموراً؛ (يذكر سفر التكوين 9: 18 أبناء نوح، ويذكر كنعان في القائمة ولكنه يسمي حام أباه).؛ وعندما عاد إلى نوح وعيه، أدرك جريمة حام الدنيئة ضد والديه. إنَّ الأعمال المظلمة التي شهدها حام في تصرُّفات الرجال ما قبل الطوفان عادت ووجدت في قلبه حياة جديدة، وأطلقت موجة مِن الشرّ على الأرض من جديد.

وهو، عندما سمح لإيروس بدفعه لتحقيق رغبات غير طبيعية، قد جلب لعنة ليس فقط على نفسه ولكن على أبنائه أيضًا.

> فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». التكوين 9: 24 – 26

هنا نرى مبدأ أساسيًّا في العلاقات. عندما يشتهي الرجال أشياء لأنفسهم تجعلهم يحتقرون ذاك الذي منحهم الحياة، فهناك ستقع اللعنة. وعندما لا يسعى الرجل سوى لتلبية احتياجاته هو، فإنَّه يعلِّم أولاده أنْ يهتمُّوا فقط بأنفسهم وأنْ يتجاهلوا الحياة والبركات الممنوحة لهم مِن قِبل والديهم أو أيّ سلطة أخرى.

كان كوش الابن الأوَّل لحام، وكان نمرود هو الابن الأوَّل لكوش. وتمامًا كما كان الأب يشتهي ما ليس له ويستولي عليه، قام نمرود، نتيجة رغبته في أنْ يملأ نقص البركة في حياته، بحشد الجيوش وبدأ في غزو القرى والمجتمعات المجاورة وبناء مملكته الخاصَّة. التكوين 10: 10، 11. يخبرنا يوسيفوس قليلاً عن نمرود:

> "في تلك الساعة كان نمرود هو الذي أثار حماستهم ليوجِّهوا تلك الإهانة والازدراء لله. لقد كان حفيد حام ابن نوح، وكان رجلاً جريئاً وذا يد شديدة البأس. **وقد أقنعهم بألَّا ينسبوا [أي القوَّة] إلى الله، كما لو أنَّ سعادتهم كانت بسبب ما وفَّره لهم مِن موارد، بل أقنعهم بأنَّ شجاعتهم هي التي منحتهم السعادة. كما قام بتغيير الحكومة شيئاً فشيئاً لتصير حكومة طاغية، ولم يرَ أيَّة طريقة أخرى لصرف أنظار الناس عن مخافة الله إلَّا مِن خلال جعلهم يعتمدون اعتمادًا دائمًا على قوَّته هو..."** يوسيفوس، تاريخ اليهود 1، الفصل 4، الفقرة 2.

نلاحظ هنا التطوُّر الطبيعي الذي تمرُّ به الإيروس حين تقود الناس للسعي وراء خدمة الذات.

1. انسب القوَّة لنفسك (أنت لن تموت): صدِّق أنَّ السعادة تأتي مِن خلال شجاعتك (خذ ما تشتهيه نفسك)

2. اطمح أنْ تسيطر على الجميع (سوف تكون مثل الله)

بالطبع، بمجرَّد أنْ تبدأ هذه الدورة، يكون مصيرك أنْ تشعر بخيبة الأمل ثمَّ النفور الذي ستلقاه في أولئك الذين تسعى لأنْ تنتزع منهم ما تشتهيه نفسك. عندما يسعى الناس إلى أن ينتزعوا التمجيد والعبادة مِن الآخرين، فإنَّ هؤلاء سيصدُّون مثل هذه الجهود بطبيعة الحال، وستكون الحرب هي النتيجة الحتميَّة.

وفي غضون فترة زمنيَّة قصيرة للغاية، غرق العالَم مِن جديد في دورة الإيروس وفي شهوة التملُّك والسيطرة. عندما رفض البشر حقيقة أنَّ كلَّ ما كانوا يمتلكونه إنَّما كان هبة مِن الله، ازداد شعورهم بلعنة الأنانية في أرواحهم. وفي غضون عقود قليلة، أقام نمرود إمبراطوريَّته اعتمادًا على جيش وديانة قائمة على الجنس وعبادة الطبيعة ومجتمع تغافل عن الله.

ومرَّة أخرى، غصَّت الأرض برجال امتلأت نفسوهم بالشهوة وخلت مِن الشكر والامتنان. كانت جميع عائلات الأرض تقريبًا تسير بحسب مبادئ التجاذب والتنافر المستندة إلى الإيروس، بدلاً مِن الأغابي التي تقوم على أساس الامتنان والكرامة تجاه الذين أعطوا الحياة. ومرَّة أخرى، لم تدر في رؤوس الرجال سوى أفكار حول الطعام والجنس والسُّلطة والحرب في محاولة يائسة منهم للوصول إلى الألوهيَّة. تقدِّم قصَّة حام ونمرود درسًا عن كيف يمكن أنْ ينمو الاستبداد مِن عمل أناني واحد ليتحوَّل إلى جيوش تخوض المعارك وتقتل وتدمِّر وتحطِّم العائلات.

إنَّ عينا الربِّ فتَّشتا في الأرض جيئة وذهابًا لتجدا رجلاً كان قلبه على استعداد للإيمان بأنَّ البَركة كانت مِن نصيبه؛ رجل تطيَّبت روحه بالشكر والامتنان وأمكنه أنْ يصير حجر الزاوية لمحرَّك أغابي جديد للعالَم. وبمجرَّد أنْ وجد الله رجلًا اختار الإيمان بأنَّه مبارَك، كان يمكن لله الآنْ أن يفيض عليه مِن بركاته دون أنْ يُخشى انحراف قلبه عن واهب البَركة. وقد وُجد هذا الرجل في قلب إمبراطورية نمرود الأنانية. كان كالنبتة الطريَّة التي نمت في قفر الشهوة الذي كان يحيط به. هذا الرجل كان أبرام. كان أبرام ما يزال متأثِّرًا بثقافة الإيروس، لكنَّ قلبه كان رقيقًا بما يكفي ليتعلَّم أنْ يحبَّ الله الذي خلق جميع الأشياء وليصبح خليلًا له.

> وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». التكوين 12: 1 – 3

لاحِظ جيّدًا أنَّ الله قال أنَّه سيبارك أبرام وأنَّه سيكون بركة. وحده الرجل المبارَك يقدر أنْ يكون بَرَكة لأسرته ومجتمعه. كان الله سيجعل أبرام عظيماً، لا لكي يرضي إبرام رغباته، بل ليكون بَرَكة لجميع قبائل الأرض. ولكنَّ هذه الصفقة لم تكن بالبساطة التي قد تبدو عليها. كانت بذور الإيروس الموروثة مِن آدم تعني أنَّ أبرام توجَّب عليه أنْ يصارع ضدَّ الفكرة القائلة بأنَّ الأشياء الجيِّدة لا تأتي إلّا لمَن يبحث عنها ويبذل جهدًا لأخذها وامتلاكها. عندما قال الله أنَّه سيبارك أبرام، وضع شرطًا واحدًا فقط: اترك أرضك، اترك ثقافتك الغارقة في الوثنية، اترك هذا كلَّه واسلك معي. لكنْ، أنْ يصير المرء أمَّة

عظيمة لا يمكن أنْ يكون بهذه البساطة! بالتأكيد لا! هل المطلوب أنْ تترك وراءك جميع الصلات والأشخاص الذين يعرفونك، وتذهب لتحيا في الخلاء حيث يوجد القليل مِن الناس الذين يتبعون عادات وممارسات غريبة ومتخلِّفة؟ لا تبدو هذه طريقة حكيمة أبدًا لكي يصبح المرء أمَّة قويَّة وعظيمة.

أطاع أبرام الأمر، وترك محيطه المألوف. لقد اتَّبع طريقًا بدا أنَّه كان معاكسًا لأنْ يصير أمَّة عظيمة. ومرَّة أخرى يؤكِّد الله وعده لأبرام:

> وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. التكوين 12: 7

واجه أبرام سلسلة مِن التحدِّيات، ولكنْ لم يكن أيٌّ منها أعظم مِن حقيقة أنَّه لم يكن لديه ولد. إذا كان أبرام سيصير أمَّة عظيمة، فإنَّه كان سيحتاج إلى ولد واحد على الأقلّ. هل يستمرَّ في الإيمان أم يقرِّر أن يفعل شيئًا حيال ذلك؟ هل يثق في صانع الوعد أم أنَّه يحقِّق الوعد بنفسه؟ ذات ليلة عندما كان يفكِّر في هذه الأمور، جاءه الله.

> وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: «إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلًا، وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي». فَإِذَا كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلًا: «لاَ يَرِثُكَ هذَا، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ». ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا. التكوين 15: 3 – 6

هذا هو السرّ البسيط لكي يكون المرء بارًّا: آمِن بما يقوله الله لك، وهو سوف يباركك. آمِن أنَّك إنسان مبارَك. هذا كلُّ شيء! وما هي البركة التي يغدقها الله على كلّ واحد منَّا؟

> اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ رومية 8: 32

إذا كان الله قد بذل الله ابنه لأجلنا، يمكننا التأكُّد مِن أنَّه سوف يعطينا كلّ الأشياء مجَّانًا. نحن ببساطة نحتاج لأنْ نؤمن به ونثق فيه. وهذا بالضبط ما فعله أبرام.

> فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا. التكوين 15: 6

هذا هو السرُّ وراء الفرح في العلاقات. وهذه هي الشرارة التي ستجعل النفس تلتهب بمحبَّة الله: أنْ تؤمن بأنَّ الله سيمنحك ما وعدك به وأنَّه هو الذي أعطاك كلَّ ما لديك بالفعل. عندما تفعل هذا الأمر، مثلما فعل أبرام، ستصير شخصًا مبارَكًا، والإنسان المبارَك تكون نفسه مفعمة بالرغبة لكي يُعطي كما أعطِيَ هو أيضًا.

وهذا هو السرُّ رواء السعادة الدائمة في الزواج. أمعن النظر في كلّ ما أعطي لك، وسوف ترغب في العطاء. هذا هو طريق البركة الذي أعدَّه الله لنا. أمعن النظر في كلّ ما ينبغي أنْ تناله وفي كلّ ما سيكون عليك القيام به لكي تحصل عليه، فهذه هو الطريق المُدمِّر الذي نسير فيه. هل شريك الحياة

لا يعاملك كما تستحقّ؟ إذًا، عامِله كما تشعر أنَّك تستحقُّ! ألا يوجد شيء تشعر بالامتنان تجاهه؟ ألم يطعمك الله ويوفِّر لك الملبس والمأوى؟ ألم يفتح لك ألف وردة ويجعل الضوء يتراقص على سطح الماء؟ ألم يرسم السماء بلون ذهبي لامع عند غروب كلِّ شمس؟ هل يمكنك أنْ تقول حقًّا أنَّك لم تنل أيَّة نِعَم في حياتك؟

مِن الواضح أنَّ هذه العمليَّة تصبح صعبة للغاية عندما يختار أحد الزوجين أنْ يكون أنانيًّا ومهيمنًا. إنَّ التمسُّك بالنور الذي منحنا إيَّاه الله يسمح لنا بأنْ نجد الفرح على الرغم مِن أنَّ العديد من الأشياء يكتنفها الحزن. ومع ذلك، فإذا لم يعد لدينا شيء نشكر لأجله، نستسلم للأنانية ونصبح مثل الشريك الآخر، مملوئين بالندم الأناني والشفقة على الذات.

كان حام ونمرود رجلين ملعونَين، لأنَّ شهوة الاستحواذ والتملُّك بهدف الوصول إلى السعادة ستؤدِّي دائمًا إلى خيبة الأمل. إذا كنَّا نأخذ لكي نكون سعداء، فنحن أبناء رجال نزلت عليهم اللعنة، ونحن بدورنا سوف نلعن الآخرين. لقد كان أبرام رجلاً مبارَكًا. إذا كنَّا نحن أبناء أبرام، فعلينا أنْ نؤمن بأنَّنا أبناء رجل مبارَك.

وإذا كنَّا أبناء رجل مبارَك، فالبَركة مِن نصيبنا بالفعل.

ومَن ينال البَركة سوف يُبارك الآخرين ويُنعِم عليهم.

مَجَّانًا أخذتم، مجّانًا أعْطُوا

قصّة حب مِن الكتاب المقدَّس

الحبّ الأصيل

إنَّ مؤسَّسة الزواج تتعرَّض لتهديد خطير. لماذا يعاني الكثيرون مِن تجربة سيِّئة مع الزواج والعلاقات بشكل عام؟ ينظر هذا الكتيِّب في العلاقة الأصيلة كما يصفها الكتاب المقدَّس لكي نعرف الأشياء التي يمكننا أنْ نتعلَّمها من أجل تعزيز علاقاتنا وإثرائها. إليكم 40 صفحة مليئة بالمبادئ الحيوية لزواج نابض بالحياة.

لمزيد مِن التفاصيل استخدم تطبيق الماسح الإلكتروني في الموبايل أو قم بزيارة: fatheroflove-arabic.com